

رواية

قراءة الذات

تأليف
عمارة عبدالمالك



2026

رواية: قراءة الذات
تأليف: عمارة عبدالمالك

رواية اجتماعية نفسية، تجمع بين الغموض
والتشويق والحب والخيانة والصراع الداخلي، وتغوص
في أعماق النفس البشرية، حيث يكشف الإنسان أن
أصعب رحلة في الحياة ليست الوصول إلى الآخرين، بل
الوصول إلى حقيقة نفسه.

إهداء

إلى كل إنسانٍ أنهكتَه الحياة، فراح يبحث عن نفسه
بين ركام الذكريات، وفي زوايا الصمت، وخلف أقنعةٍ
ارتداها طويلاً دون أن يدرك أنها تُخفي ملامحه الحقيقية.
إلى أولئك الذين خاضوا معاركهم في صمت،
وابتسموا رغم انكساراتهم، وأخفوا خلف عيونهم حكاياتٍ
لم يجرؤوا يوماً على البوح بها.
إلى كل من وقف أمام مرآة روحه، متسائلاً: من أنا؟
وما الذي بقي مني بعد كل ما عشته؟
إلى الذين أدركوا أن أصعب رحلةٍ في الحياة ليست
السفر إلى الأماكن البعيدة، بل العودة إلى أعماق الذات،
ومواجهة الحقيقة مهما كانت مؤلمة.
أهدي هذه الرواية إلى كل قلبٍ يبحث عن معنى
وجوده، وإلى كل روحٍ تؤمن بأن معرفة النفس هي أول
الطريق نحو الحرية.
فربما لا نحتاج إلى من يدلّنا على الطريق، بقدر ما
نحتاج إلى أن نقرأ أنفسنا جيداً.

عمارة جبراللاتر



كلمة المؤلف رواية: قراءة الذات

ليست كل الرحلات التي يخوضها الإنسان تبدأ بخطوة نحو العالم الخارجي، فبعض الرحلات تبدأ من أعماق النفس، حين يقرر المرء أن يتوقف قليلاً، وينظر إلى ذاته بعيداً عن ضجيج الحياة، وأقنعة الناس، والأحكام التي يفرضها المجتمع.

من هنا جاءت فكرة رواية «قراءة الذات»، محاولةً أدبيةً للغوص في أعماق الإنسان، واستكشاف ما يختبئ خلف ملامحه الهادئة، وكلماته العابرة، وابتساماته التي قد تخفي وراءها حزناً عميقاً، أو صراعاً لا يراه أحد. فالإنسان ليس دائماً كما يبدو للآخرين، وليس كل ما يقوله يعبر عما يشعر به، ولا كل ما يخفيه يمكن أن يظل مدفوناً إلى الأبد.

في هذه الرواية، حاولت أن أفتح نافذة على النفس البشرية، بما تحمله من تناقضات وأسرار، ومن آمال وخيبات، ومن حب ووفاء، ومن خوف وخيانة. أردت أن أقرب من تلك اللحظات التي يجد فيها الإنسان نفسه أمام مرآة الحقيقة، فيكتشف أن بعض المعارك التي

خاضها لم تكن مع الآخرين، بل كانت مع نفسه؛ وأن بعض الجراح التي ظنّها من صنع الزمن، كانت نتيجة قرارات اتخذها، أو حقائق هرب من مواجهتها.

إن قراءة الذات ليست مهمة سهلة، لأنها تتطلب شجاعة الاعتراف، وقوة مواجهة الماضي، والقدرة على التمييز بين الحقيقة التي نعيشها والوهم الذي نصنعه لأنفسنا. فكثيرًا ما نبحث عن أسباب تعاستنا في الآخرين، وننسى أن داخلنا أسئلة لم نجرؤ على طرحها، وأبوابًا لم نمتلك الشجاعة لفتحها، وذكريات نعتقد أننا تجاوزناها، بينما تظل حاضرة في أعماقنا، توجه خطواتنا دون أن نشعر.

ولم أرد لهذه الرواية أن تكون مجرد حكاية تُقرأ ثم تُنسى، بل تمنيت أن تكون رحلة تأمل تترك في نفس القارئ أثرًا، وتدعوه إلى إعادة النظر في بعض مواقفه وعلاقاته واختياراته. فربما يجد القارئ بين صفحاتها شيئًا يشبهه، أو يلتقي بشخصية تذكره بإنسان عرفه، أو يكتشف سؤالًا ظل يؤجّله طويلًا.

لقد آمنت دائمًا بأن الأدب الحقيقي لا يكتفي بسرد الأحداث، وإنما يسعى إلى الكشف عما وراءها، ولا يكتفي



برسم الشخصيات، بل يحاول فهم دوافعها ومخاوفها وضعفها وقوتها. ومن هذا المنطلق، حاولت أن أجعل من شخصيات هذه الرواية نماذج إنسانية تتحرك بين الحقيقة والوهم، وبين الرغبة والواجب، وبين ما تتمناه النفس وما تفرضه الحياة.

إلى القارئ الكريم، أقدم هذه الرواية، راجيًا أن تجد في صفحاتها ما يستحق التأمل، وأن تمنحك لحظات من المتعة والتشويق، وأن تترك في داخلك سؤالاً يستمر حتى بعد إغلاق الكتاب.

هل نعرف أنفسنا حقًا، أم أننا نقضي أعمارنا في اكتشاف أشخاص لم نكن نعرف أنهم يسكنون أعماقنا؟ أترك لك، عزيزي القارئ، حرية التأويل والحكم، فلكل إنسان تجربته الخاصة، ولكل قلب طريقته في فهم الحياة، ولكل نفس أسرارها التي لا تكشفها إلا حين يحين وقت المواجهة.

وفي الختام، أتمنى أن تكون رواية «قراءة الذات» دعوة صادقة إلى المصالحة مع النفس، وإلى فهم الآخرين قبل الحكم عليهم، وإلى إدراك أن الاعتراف بالحقيقة، مهما كانت مؤلمة، يظل أول طريق التحرر منها.



مع خالص التقدير والمحبة لكل من يمنح الكلمة
فرصةً لتلامس قلبه، والفكرة فرصةً لتوقظ عقله.
جمانة جبريال

مقدمة الرواية

لم يكن سامر يعلم أن حياته التي بناها على مدى خمسة وثلاثين عامًا ستتهار بسبب رسالة واحدة، ولا أنه سيحتاج إلى خسارة كل شيء حتى يبدأ في فهم نفسه.

كان يعتقد أنه رجل ناجح، يعرف كيف يتعامل مع الناس، وكيف يخفي ضعفه خلف ابتسامة هادئة، وكيف يتخذ قراراته دون أن يسمح للعاطفة بالتدخل في حياته.

كان يمتلك عملاً محترماً، ومنزلاً جميلاً، وزوجة يحبها، وأماً تخشى عليه من قسوة الأيام. وكان كثيرون ينظرون إليه باعتباره رجلاً متزنًا لا تهزّه المصاعب.

لكنهم لم يكونوا يعرفون أن سامر كان يحمل في صدره غرفة مغلقة منذ طفولته، غرفة امتلأت بالخوف والخذلان والأسئلة التي لم يجد لها إجابات.

في تلك الغرفة، كان يعيش طفل صغير لم يستطع يومًا أن يفهم لماذا تخلق عنه أقرب الناس إليه، ولماذا كان عليه أن يتظاهر بالقوة كي لا يراه الآخرون ضعيفًا.

كبر ذلك الطفل، وارتنى ثياب الرجل الناضج، وتعلم كيف يضحك في المجالس، وكيف يتحدث بثقة، وكيف يبتعد عن كل شخص يقترب كثيرًا من جراحه.

لكنه لم يتعلم كيف يسامح.
ولم يتعلم كيف يحب دون خوف.
ولم يتعلم كيف يواجه نفسه أمام مرآة لا تكذب.
وفي مساء خريفي بارد، وصلتته رسالة من امرأة ظنّ أنها
اختفت من حياته إلى الأبد.
كانت الرسالة قصيرة، لكنها حملت سؤالاً واحدًا قلب
عالمه رأسًا على عقب:
«سامر، هل أنت متأكد أنك تتذكر طفولتك كما حدثت
فعلاً؟»

منذ تلك اللحظة، بدأت رحلة مختلفة؛ رحلة لم
يكن فيها عدو واضح، ولا طريق مستقيم، ولا حقيقة
يمكن الوثوق بها بسهولة.
كانت رحلة قراءة الذات.

وكلما اقترب سامر من الحقيقة، اكتشف أن بعض
الأبواب التي أغلقها في الماضي لم تكن تخفي أسرار
الآخرين فقط، بل كانت تخفي الرجل الذي أصبح عليه.

جمانة جبرال

التعريف الكامل بأبطال رواية

«قراءة الذات»

مقدمة: شخصيات تعيش بين الحقيقة

والوهم

رواية «قراءة الذات» رواية اجتماعية نفسية تتشابك فيها الأسرار العائلية مع الغموض والخيانة والصراعات الداخلية. إنها رحلة في أعماق النفس البشرية، حيث يكتشف الإنسان أن معرفة الآخرين قد تكون أسهل بكثير من معرفة نفسه، وأن بعض الحقائق التي نهرب منها طوال حياتنا تظل قادرة على مطاردتنا حتى نواجهها.

تدور أحداث الرواية حول سامر، رجل في الخامسة والثلاثين من عمره، يعيش حياة تبدو مستقرة، إلى أن تصل إليه رسالة غامضة تعيد فتح ملف وفاة والده، عبد القادر، وتدفعه إلى رحلة شاقة لكشف أسرار الماضي. وخلال هذه الرحلة، تتكشف أمامه حقائق عن عائلته ومحيطه، لكنه يكتشف أيضاً جوانب خفية من شخصيته لم يكن يعرفها من قبل.

وفيما يلي التعريف بأبرز شخصيات الرواية وأدوارها في الأحداث.

أولاً: الشخصيات الرئيسية

1- سامر — بطل الرواية

العمر: 35 عامًا.

المهنة: مدير إداري في مدينة الجزائر

الحالة الاجتماعية: متزوج من ليلي.

الأب: عبد القادر.

الأم: مريم.

سامر هو الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية. رجل متعلم، يتمتع بقدر من الذكاء والقدرة على التحليل، ويبدو أمام الآخرين هادئًا وملتزمًا، لكنه يحمل في داخله أسئلة كثيرة لم يجد لها أجوبة.

نشأ سامر في أسرة ظلت بعض أسرارها بعيدة عن متناول فهمه. وقد تركت وفاة والده أثرًا عميقًا في نفسه، حتى وإن حاول إقناع نفسه بأنه تجاوز الماضي وأصبح قادرًا على مواصلة حياته بصورة طبيعية.

تتغير حياته عندما يتلقى رسالة من امرأة تدعى نادية، فتوقظ الرسالة شكوكًا قديمة حول وفاة أبيه. ويجد نفسه مضطربًا إلى العودة إلى ذكريات طفولته، والبحث في الوثائق القديمة، واستعادة أحداث كان يعتقد أنه نسيها. ومع تقدم التحقيق، يواجه سامر أشخاصًا يعرفهم منذ زمن، لكنه يكتشف أنهم أخفوا عنه حقائق مهمة. ويصبح الصراع الحقيقي بينه وبين نفسه؛ فهو لا يبحث عن الحقيقة المتعلقة بوالده فحسب، بل يحاول فهم أسباب خوفه، وتردده، وغضبه، وطريقته في التعامل مع الآخرين. دوره في الرواية: يمثل سامر رحلة الإنسان من الشك إلى المواجهة، ومن البحث عن أخطاء الآخرين إلى اكتشاف مسؤوليته عن قراراته ومواقفه.

رمزيته: يجسد الإنسان الذي يعتقد أنه يعرف نفسه، ثم يكتشف أن داخله عوالم لم يجرؤ على استكشافها.

2- ليلي — الزوجة التي تبحث عن التوازن.

ليلى زوجة سامر وشريكته في الحياة. تمثل الجانب العاطفي والإنساني في عالمه، وهي من الشخصيات التي

تتأثر مباشرة بالتغيرات التي تطرأ على سلوكه بعد ظهور الرسالة الغامضة.

في البداية، ترى أن انشغال زوجها بالماضي بدأ يتجاوز حدود الفضول الطبيعي، وأنه أصبح مستعداً للتضحية براحة أسرته من أجل أسئلة قد لا يجد لها إجابات واضحة.

تحاول ليلي فهم ما يجري في داخله، لكنها تجد نفسها أحياناً أمام رجل حاضر بجسده وغائب بتفكيره، منشغل بالوثائق والذكريات والشكوك.

ولا تتمثل أهمية ليلي في كونها زوجة البطل فحسب، بل في كونها مرآة تكشف له أثر تصرفاته على الأشخاص الذين يحبونه.

فهي تذكره، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بأن البحث عن الحقيقة لا يعفي الإنسان من مسؤولياته تجاه الحاضر.

دورها في الرواية: تمثل الاستقرار العائلي والارتباط بالحياة الواقعية، وتكشف التوتر الذي قد ينشأ عندما يستغرق الإنسان في ماضيه إلى درجة إهمال حاضره.

3- مريم — الأم التي تحمل أعباء الماضي

مريم هي والددة سامر وزوجة عبدالقادر. امرأة تحمل في ذاكرتها سنوات طويلة من الأحداث التي لم تُروَ لابنها كاملة.

تبدو مريم في نظر سامر أمًا يعرفها جيدًا، لكن عودة الأسئلة المتعلقة بوفاة زوجها تجعله يعيد النظر في كثير من المواقف القديمة.

يبدأ سامر بالتساؤل عن حقيقة ما تعرفه أمه، وعن أسباب صمتها، وعن الأشياء التي اختارت ألا تخبره بها.

وتجد مريم نفسها في مواجهة ماضٍ كانت تحاول الابتعاد عنه. فبعض الذكريات، مهما طال الزمن، تظل حاضرة في وجدان أصحابها، وتعود إلى السطح عندما تتغير الظروف. ولا ينبغي النظر إلى مريم باعتبارها شخصية شريرة أو بريئة بصورة مطلقة؛ فقيمتها الدرامية تكمن في التعقيد النفسي الذي يجعل القارئ يتساءل عن حدود معرفتها بالحقيقة، وعن دوافع صمتها، وعن الفرق بين إخفاء الحقيقة خوفًا وبين إخفاءها حمايةً للآخرين.

دورها في الرواية: تمثل الذاكرة العائلية المثقلة بالأسرار، وتكشف كيف يمكن للصمت أن يتحول، مع مرور الزمن، إلى حاجز بين أفراد الأسرة الواحدة.

4 - عبدالقادر — الأب الغائب الحاضر

عبدالقادر هو والد سامر، وتظل وفاته نقطة الانطلاق الأساسية في أحداث الرواية، رغم غيابه عن الحاضر. لا يظهر تأثير عبدالقادر في الأحداث من خلال حضوره الجسدي، بل من خلال ذكرياته والوثائق والتسجيلات والآثار التي تركها وراءه. كان سامر يعتقد أنه يعرف أباه، لكن الرسالة الغامضة وما تكشفه رحلة البحث تجعلان صورة الأب أكثر تعقيداً.

فكلما عثر سامر على دليل جديد، ظهرت أسئلة أخرى حول حياة والده، وعلاقاته، والأحداث التي سبقت وفاته. هل كان عبدالقادر ضحية مؤامرة؟ وهل كان يعرف أسراراً خطيرة؟ وهل أخفى عن أسرته جوانب من حياته لم يكن يريد لأحد أن يكتشفها؟ تظل هذه الأسئلة جزءاً من التشويق الذي يحيط بالشخصية.

دوره في الرواية: يمثل الماضي الذي يرفض أن يموت،
والحقيقة التي تستمر في التأثير في حياة الأبناء حتى بعد
غياب الآباء.

ثانيًا: الشخصيات المرتبطة بالغموض والأسرار

5- نادية — صاحبة الرسالة الغامضة

نادية هي المرأة التي تقلب حياة سامر عندما تصل إليه
رسالتها. تؤدي رسالتها دور المفتاح الذي يفتح بابًا ظل
مغلقًا لسنوات، إذ تعيد توجيه انتباهه إلى ظروف وفاة
والده، وتدفعه إلى التشكيك في الرواية التي عاش على
أساسها طويلاً. تكمن أهمية نادية في أنها لا تقدم لسامر
جميع الإجابات دفعة واحدة، بل تضعه أمام أسئلة تجبره
على التحرك والبحث بنفسه. ومع تقدم الأحداث، يصبح
من الضروري التمييز بين ما تعرفه نادية فعلاً، وما تنقله
عن الآخرين، وما قد تكون عاجزة عن إثباته. فهي ليست
مجرد شخصية تحمل رسالة، وإنما حلقة أساسية في
سلسلة الأسرار التي تربط الماضي بالحاضر.

دورها في الرواية: تحريك الأحداث وإطلاق رحلة البحث
عن الحقيقة.

6 - رشيد بن عيسى — الرجل الذي يقود إلى خيوط القضية

يظهر اسمه ضمن دائرة الأشخاص الذين يتعين على سامر معرفة طبيعة علاقتهم بالماضي، وما إذا كانت لديهم معلومات عن الأحداث التي سبقت وفاة والده. وتكمن أهمية رشيد في أن حضوره يوسع دائرة البحث، فلا تعود القضية مجرد مسألة عائلية، بل تصبح قضية تتداخل فيها العلاقات الشخصية والمصالح والأسرار. ويتعين على سامر أن يتعامل معه بعقل متيقظ، فلا يكتفي بالانطباعات أو الاتهامات، بل يحاول الربط بين الأقوال والوثائق والوقائع.

دوره في الرواية: يمثل أحد الخيوط التي تقود البطل إلى توسيع تحقيقه وفهم شبكة العلاقات المحيطة بالقضية.

7 - كمال مراد — الشخصية المحاطة بالشكوك

كمال مراد من أبرز الشخصيات المرتبطة بأسرار الماضي. يمثل اسمه محطة مهمة في رحلة سامر، إذ يضطر البطل إلى مواجهته ومحاولة فهم طبيعة علاقته بالأحداث التي ظلت غامضة لسنوات. وتزداد أهمية كمال كلما اتضح أن



الوصول إلى الحقيقة لا يعتمد على العثور على وثيقة واحدة، بل على فهم شبكة من العلاقات والمواقف التي قد يكون لكل منها تفسير مختلف. ولا تكمن قيمة الشخصية في مجرد إثارة الشكوك حولها، وإنما في الدور الذي تؤديه في اختبار قدرة سامر على التمييز بين الحقيقة والظن.

دوره في الرواية: تعميق الغموض، وإجبار البطل على مواجهة الأشخاص الذين قد يحملون أجزاءً من الحقيقة.

8-الطاهر — شاهد من دائرة الماضي

يمثل وجوده احتمال الوصول إلى معلومات تساعد على فهم الظروف التي أحاطت بوفاة عبدالقادر، كما يضيف بعدًا آخر إلى شبكة العلاقات التي يحاول سامر إعادة بنائها. وفي مثل هذه القضايا، قد تكون الشهادة المباشرة ناقصة، أو تكون الذاكرة قد تأثرت بمرور الزمن، أو يكون بعض الأشخاص قد اختاروا الصمت لأسباب خاصة. لذلك لا يستطيع سامر الاعتماد على رواية واحدة، بل يحتاج إلى مقارنة ما يسمعه بما يعثر عليه من أدلة.

دوره في الرواية: المساهمة في كشف جوانب من الماضي، وإظهار الصعوبة التي تواجه من يحاول إعادة بناء حقيقة قديمة اعتمادًا على شهادات بشرية متباينة.

9 - يونس عبدالسلام — الشخصية المرتبطة بالتستر

يونس عبدالسلام من الشخصيات المهمة في الجانب المتعلق بالأسرار والتستر على بعض الوقائع. يرتبط اسمه بالخيوط التي تقود سامر إلى اكتشاف أن القضية أوسع من مجرد وفاة غامضة؛ فهناك وقائع تتعلق بالاختلاس والاعتداء والتستر، تتداخل فيها المصالح الشخصية مع الخوف من انكشاف الحقيقة. وتطرح الشخصية سؤالاً أخلاقياً مهماً: هل يصبح الإنسان شريكاً في الخطأ عندما يعرف الحقيقة ويختار الصمت عنها؟ إن قيمة يونس في البناء الروائي لا تتوقف عند ما يعرفه، بل تمتد إلى ما فعله بتلك المعرفة، وإلى الأسباب التي جعلته يتخذ مواقفه.

دوره في الرواية: إبراز الجانب الأخلاقي للقضية، وكشف أثر التستر في استمرار الظلم وتعقيد الوصول إلى الحقيقة.

ثالثًا: الشخصيات المرتبطة بالجانب النفسي والإنساني

10 - الدكتورة سلمى — صوت الفهم والمواجهة الداخلية

الدكتورة سلمى شخصية تؤدي دورًا مهمًا في الجانب النفسي من رحلة سامر. فبينما يحاول البطل الوصول إلى حقيقة ما حدث لوالده، يكتشف أنه يحتاج أيضًا إلى فهم ما يحدث داخله. تساعد هذه الشخصية على النظر إلى مخاوفه واضطراباته من زاوية مختلفة، وعلى إدراك أن معرفة الوقائع الخارجية لا تعني بالضرورة أن الإنسان قد فهم نفسه. فقد يعرف المرء من أخطأ في حقه، ويكتشف من كذب عليه، ويجمع الأدلة التي تثبت ما حدث، لكنه يظل عاجزًا عن التحرر من الألم إذا لم يفهم أثر تلك التجارب في شخصيته. وتكتسب الدكتورة سلمى أهميتها من قدرتها على توجيه انتباه سامر إلى الأسئلة التي يتجنبها عن نفسه.

دورها في الرواية: تمثل الوعي النفسي والتأمل، وتساعد في إبراز المعنى العميق لعنوان الرواية: -قراءة الذات-.

11 - الرجل الغامض في سيارة عبدالقادر —

اللغز الذي يبقى مفتوحًا

في نهاية الرواية، تظهر إشارة إلى احتمال وجود شخص آخر كان برفقة عبدالقادر في سيارته.

وتفتح هذه الإشارة بابًا جديدًا للتساؤل حول الأحداث السابقة للوفاة، وتوحي بأن بعض جوانب القضية قد لا تكون قد كُشفت بالكامل. ولا تكمن أهمية هذا الشخص في المعلومات المتاحة عنه، بل في الغموض الذي يحيط به، وفي قدرته على إعادة طرح الأسئلة بعد أن يعتقد القارئ أن الصورة أصبحت واضحة. فمن يكون هذا الرجل؟ وما علاقته بعبدالقادر؟ وهل يحمل مفتاحًا لحقيقة لم يستطع سامر الوصول إليها؟ إن بقاء هذه الأسئلة دون إجابة نهائية يحافظ على مساحة من الغموض، ويفتح المجال لاحتمال استكمال الحكاية في جزء لاحق.

دوره في الرواية: إبقاء باب التأويل مفتوحًا، وتعزيز المفاجأة الختامية التي تشير إلى أن الحقيقة المكتشفة قد لا تكون الحقيقة الكاملة.

رابعاً: العلاقات بين الشخصيات

تقوم رواية «قراءة الذات» على مجموعة من العلاقات المتشابكة التي تمنح الأحداث عمقها النفسي والاجتماعي.

العلاقة

طبيعتها

أثرها في الأحداث

سامر وعبدالقادر

علاقة الابن بالأب الغائب

تدفع سامر إلى البحث في الماضي وفهم إرث والده.

سامر ومريم

علاقة الابن بأمه

تضع الثقة العائلية أمام اختبار الأسرار والصمت. سامر

وليلي

علاقة زوجية

تكشف الصراع بين الانشغال بالماضي والحفاظ على

استقرار الحاضر

سامر ونادية

علاقة البحث عن الحقيقة

تشكل نقطة الانطلاق في رحلة الكشف عن الغموض .
سامر ورشيد بن عيسى
علاقة تحقيق ومواجهة توسع دائرة البحث في ظروف
القضية.

سامر وكمال مراد
علاقة تحيط بها الشكوك تدفع البطل إلى اختبار الأدلة
ومواجهة الاحتمالات.

سامر والطاهر
علاقة مرتبطة بشهادات الماضي تساعد في إعادة بناء
الأحداث القديمة.

سامر ويونس عبدالسلام علاقة مرتبطة بأسرار القضية
تكشف البعد الأخلاقي للتستر وإخفاء الحقيقة.

سامر والدكتورة سلى
علاقة فهم ومراجعة الذات تساعد البطل على إدراك أن
الحقيقة الخارجية لا تكفي وحدها لفهم النفس.

خامساً: البعد الرمزي لشخصيات
الرواية

لا تقتصر الشخصيات في «قراءة الذات» على أداء أدوارها في الحكمة، بل تحمل أبعادًا إنسانية تجعل الرواية أقرب إلى دراسة نفسية واجتماعية.

سامر: يرمز إلى الإنسان الذي يبدأ رحلة البحث عن الحقيقة خارج نفسه، ثم يكتشف أنه مطالب بمواجهة أعماقه أيضًا.

ليلى: ترمز إلى الحاضر والمسؤولية العاطفية، وإلى ضرورة ألا يتحول البحث عن الماضي إلى سبب لإهمال من نحب.

مريم: ترمز إلى الذاكرة العائلية والصمت الذي قد يستمر سنوات طويلة.

عبدالقادر: يرمز إلى الماضي الذي يظل مؤثرًا في الأبناء رغم غياب صاحبه.

نادية: ترمز إلى الحقيقة التي تظهر فجأة، فتغير مسار حياة الإنسان.

رشيد بن عيسى: يمثل الخيوط التي تقود إلى شبكة أوسع من الوقائع والعلاقات.

كمال مراد: يجسد صعوبة التمييز بين الشك والحقيقة.

الطاهر: يبرز أهمية الشهادة والذاكرة في كشف الوقائع القديمة.

يونس عبدالسلام: يجسد المسؤولية الأخلاقية عن الصمت والتستر.

الدكتورة سلمى: ترمز إلى الوعي النفسي، وإلى ضرورة فهم الذات بدل الاكتفاء بإدانة الآخرين.

الرجل الغامض: يمثل الحقيقة الناقصة والأسئلة التي تظل معلقة بعد انتهاء التحقيق.

سادساً: كيف تتطور الشخصيات خلال الرواية؟

تتميز الرواية بأن الشخصيات لا تبقى ثابتة طوال الأحداث، بل تتغير نظرة القارئ إليها كلما ظهرت معلومات جديدة.

- المرحلة الأولى: الثقة والاستقرار الظاهري

يعيش سامر حياته معتقداً أن الماضي أصبح خلفه، وأنه يعرف أسرته ويفهم تاريخها. تبدو العلاقات مستقرة، رغم وجود أسئلة لم تجد أجوبة.

- المرحلة الثانية: ظهور الرسالة وانهايار اليقين
تصل رسالة نادية، فيبدأ سامر بإعادة النظر في المعلومات التي كان يعتبرها حقائق نهائية. ويتحول الفضول إلى رغبة ملحة في معرفة ما حدث.

- المرحلة الثالثة: المواجهة واكتشاف الأسرار
تتسع دائرة البحث، وتظهر أسماء وشهادات ووثائق تقود إلى شبكة من العلاقات المعقدة. ويجد سامر نفسه مضطراً إلى مواجهة أشخاص لم يكن يتوقع أن يكون لهم دور في القضية.

- المرحلة الرابعة: قراءة الذات
يدرك سامر أن اكتشاف أخطاء الآخرين لا يكفي لتحقيق السلام الداخلي. ويبدأ في مراجعة مواقفه ومخاوفه وطريقة تعامله مع أسرته، محاولاً فهم نفسه بدل الاكتفاء بملاحقة الماضي.

- المرحلة الخامسة: نهاية تفتح بابًا جديدًا يصل سامر إلى فهم أعمق لبعض جوانب القضية، لكن الإشارة إلى الرجل الآخر الذي ربما كان في سيارة والده تترك احتمال وجود أسرار إضافية. وهكذا تنتهي الرحلة دون أن تفقد الرواية غموضها بالكامل، ويظل القارئ أمام سؤال جوهري: هل يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة كاملة، أم أن بعض الحقائق لا تظهر إلا عندما يتعلم كيف يقرأ نفسه؟

ملاحظة تحريرية:

هذا التعريف مبني على الخطوط الأساسية المتاحة لأحداث الرواية وشخصياتها. ويمكن تطويره لاحقًا إلى ملف أدبي مستقل لكل شخصية، يتضمن مظهرها الخارجي، وطباعها، وماضيها، وأهدافها، وأسرارها، وعلاقاتها التفصيلية ببقية الأبطال.

الفصل الأول:

الرجل الذي يعرف كل شيء

كان سامر يستيقظ كل صباح في السادسة والنصف، يغسل وجهه بالماء البارد، ويرتدي قميصه الأبيض وساعته الفضية، ثم يقف أمام المرأة لثوانٍ قليلة قبل أن يغادر غرفة النوم.

لم يكن يطيل النظر إلى انعكاسه. كان يعتقد أن المرأة لا تحتاج إلى أكثر من نظرة سريعة كي تخبره بما يريد معرفته.

رجل في الخامسة والثلاثين، شعر أسود بدأ الشيب يتسلل إلى جانبيه، عينان بنيتان تحملان شيئاً من التعب، وملامح توهي بالهدوء والثقة.

كان يعمل مديراً إدارياً في مؤسسة خاصة بمدينة الجزائر، وقد وصل إلى منصبه بفضل اجتهاده وقدرته على اتخاذ القرارات الصعبة.

كان زملاؤه يلجؤون إليه عندما تتعقد الأمور، وكان أصدقاؤه يطلبون نصيحته في شؤون العمل والزواج والحياة.

ومع ذلك، لم يكن أحد منهم يعرف أن سامر نفسه لم يكن يعرف ماذا يفعل عندما يختلي بروحه.

في ذلك الصباح، كانت زوجته ليلي تعد القهوة في المطبخ.

قالت وهي تضع الفنجان أمامه:
— تبدو متعبًا منذ أيام. هل هناك شيء يشغلك؟
رفع عينيه عن هاتفه.
— العمل فقط.
ابتسمت ابتسامة صغيرة.
— أنت تقول ذلك دائمًا.
— لأن العمل يشغلني فعلاً.
جلست قبالته، وتأملت وجهه.
— سامر، هل تعرف ما أكثر شيء يخيفني؟
— ماذا؟
— أن أعيش معك عشرين سنة أخرى، ثم أكتشف أنني لم
أعرفك حقًا.
توقفت يده عن الحركة.
كانت كلماتها بسيطة، لكنها أصابت مكانًا داخله لم يكن
مستعدًا للدفاع عنه.
حاول أن يبتسم.
— هل بدأتِ تقرئين كتب علم النفس مجددًا؟
— لا أحتاج إلى الكتب لأعرف أن زوجي يهرب مني كلما
حاولت الاقتراب منه.

نهض سامر، وأخذ مفاتيحه.

— سنتحدث مساءً.

قالت بهدوء:

— أنت تؤجل الحديث دائمًا إلى المساء، ثم يأتي المساء
فتتظاهر بأنك نسيت.

لم يجب .

خرج وأغلق الباب خلفه.

وفي الطريق إلى العمل، ظلت كلماتها تتردد في ذهنه .

لم يكن يخاف من الحديث مع ليلي، بل كان يخاف من
الأسئلة التي قد تطرحها، لأن بعض الأسئلة لا تطلب إجابة
بقدر ما تطلب اعترافًا .

وسامر كان يخشى الاعتراف أكثر من أي شيء آخر .

في مكتبه، وجد رسالة إلكترونية من عنوان لم يعرفه . لم
يكن فيها سوى جملة واحدة :

«إذا أردت أن تعرف من أنت، فتوقف عن تصديق كل ما
تتذكره عن نفسك.»

قرأها مرتين .

ثم حذفها.

قال لنفسه إن الأمر لا يتعدى مزحة سخيفة، لكن شعورًا
غريبًا استقر في صدره .
بعد دقائق، رن هاتفه .
كان المتصل رقمًا مجهولًا .
تردد قليلًا قبل أن يجيب .
— ألو؟

جاءه صوت امرأة خافت، متردد، كأنه يعبر مسافة طويلة
من الزمن .
— مرحبًا يا سامر .

تجمد في مكانه .
عرف الصوت .
لم يسمعه منذ خمسة عشر عامًا، لكنه عرفه كما يعرف
الإنسان صوت أمه .
— نادية؟

صمت قصير .
ثم قالت:
— نعم. أنا نادية .
شعربأن الغرفة تضيق حوله .

نادية كانت صديقة طفولته، والفتاة التي اختفت من حياته فجأة عندما كان في العشرين من عمره. غادرت المدينة دون تفسير، ولم يعرف عنها شيئاً بعد ذلك.

قال بصوت حاول أن يجعله ثابتاً:

— من أين حصلتِ على رقي؟

— هذا ليس مهماً الآن.

— بل هو مهم. لماذا تتصلين بي بعد كل هذه السنوات؟
تنهدت.

— لأن الوقت لم يعد يسمح لي بالصمت.

— عن أي شيء تتحدثين؟

قالت ببطء:

— عن الليلة التي مات فيها والدك.

شعر سامر كأن أحدهم سحب الهواء من رئتيه.

— ماذا تعرفين عن أبي؟

— أشياء لم يخبرك بها أحد.

— ماذا تريد مني؟

— أن تقرأ الرسالة التي تركتها لك أمك، وأن تعرف الحقيقة قبل أن تسمعها من شخص آخر.

انقطع الاتصال.

ظل سامر ممسكًا بالهاتف، لا يتحرك.

كان والده قد مات عندما كان سامر في الرابعة عشرة. قيل

له يومها إن الوفاة كانت نتيجة حادث على الطريق، وإن

كل ما حدث كان قضاءً وقدرًا.

لم يشكك يومًا في تلك الرواية.

أوهكذا كان يعتقد.

فتح درج مكتبه وأخرج دفترًا صغيرًا كان يحتفظ فيه

بأرقام قديمة وأوراق لا يعرف لماذا لم يتخلص منها. كتب

اسم نادية على إحدى الصفحات.

ثم كتب تحته:

ماذا حدث في تلك الليلة؟ وللمرة الأولى منذ سنوات، شعر

أن حياته قد تكون مبنية على قصة لم يعرف نهايتها

الحقيقية.

الفصل الثاني:

البيت الذي يحتفظ بالأسرار

كانت أم سامر، مريم، تعيش وحدها في منزل العائلة القديم بضواحي المدينة.

منزل واسع تحيط به أشجار البرتقال، وتفوح من جدرانه رائحة الماضي.

كانت الغرف فيه مرتبة بعناية، لكن الزمن ترك بصماته على الأبواب الخشبية والنوافذ التي لم تعد تغلق بإحكام. منذ وفاة زوجها، رفضت مريم مغادرة المنزل.

كانت تقول دائماً إن الإنسان لا يغادر بيته ما دام فيه شيء لم ينتهِ بعد .

لم يفهم سامر معنى عبارتها إلا بعد سنوات طويلة. وصل إلى منزلها في المساء، دون أن يخبرها مسبقاً. فتحت الباب، فبدت الدهشة على وجهها.

— سامر؟

ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟

قبّل رأسها.

—اشتقت إليك يا أمي.

ابتسمت، لكنها ظلت تتأمله وكأنها تبحث عن شيء خلف ملامحه.

—هل حدث شيء؟

جلس في غرفة الجلوس، حيث كانت صورة والده معلقة
فوق المدفأة. كان والده،
عبدالقادر، رجلاً ذا ملامح صارمة وعينين حادتين.
لم يتذكر سامر أنه رأى أباه يضحك بحرية إلا مرات قليلة.
قال سامر:
— اتصلت بي نادية.
سقط فنجان القهوة من يد أمه،
وتحطم على الأرض.
لم يكن الصوت مرتفعاً، لكنه بدا في أذني سامر كأنه
طلقة.
نظر إليها.
— هل تعرفين شيئاً؟
أسرعت تجمع شظايا الفنجان.
— لا أعرف لماذا تتصل بك بعد كل هذه السنوات.
— قالت إنها تعرف شيئاً عن موت أبي.
توقفت مريم عن الحركة.
بقيت منحنية للحظات، ثم جلست ببطء على الأريكة. كان
وجهها شاحباً.

—سامر، هناك أشياء في الحياة يكون نسيانها أفضل
من معرفتها.
اقترب منها.
—هل مات أبي في حادث فعلاً؟
أغمضت عينيها.
—لقد مات أبوك، وهذا ما يجب أن تعرفه.
—لم أسألك إن كان قد مات.
سألتك كيف مات.
رفعت رأسها، وفي عينيها خوف لم يره من قبل.
—لماذا تريد فتح هذا الباب الآن؟
—لأن أحدهم طرقه قبلي.
سكتت طويلاً.
ثم نهضت، وتوجهت نحو غرفتها.
عادت بعد دقائق تحمل صندوقاً خشبياً صغيراً، كان لونه
قد تحول إلى البني الداكن بفعل الزمن.
وضعته أمامه.
—هذا الصندوق كان ملكاً لأبيك. احتفظت به بعد
وفاته، ولم أجرؤ على فتحه منذ سنوات.
—لماذا؟

نظرت إليه بعينين دامعتين.

—لأنني وعدته أن أبقى بعض الأشياء بعيدة عنك حتى تكبر.

—لقد كبرت يا أمي.

—أعرف. لكن العمر لا يعني دائمًا أن الإنسان أصبح مستعدًا للحقيقة.

فتح سامر الصندوق.

وجد داخله ساعة قديمة، وصورة عائلية باهتة، وعدة أوراق مطوية، ومظروفًا أصفر كُتب عليه اسمه بخط أبيه.

ارتجفت أصابعه.

فتح المظروف.

كانت الرسالة قصيرة، وقد بدا أن والده كتبها على عجل.
«إلى ابني سامر، إذا قرأت هذه الرسالة يومًا، فاعلم أنني لم أكن الرجل الذي ظننته دائمًا، وأن بعض أخطائي قد تترك آثارها في حياتك حتى بعد رحيلي.

لا أطلب منك أن تسامحني دون أن تعرف الحقيقة، ولا أطلب منك أن تكرهني قبل أن تفهمها.

كل ما أريده هو ألا تجعل أخطاء أبيك تتحول إلى أخطاء
في حياتك .

ابحث عن نادية . وإذا أردت أن تعرف حقيقة ما حدث،
فاسأل نفسك أولاً:

لماذا كنت أخاف من العودة إلى البيت في تلك السنوات
الآخيرة؟»

توقف سامر عن القراءة .

رفع عينيه إلى أمه .

كانت تبكي بصمت .

— ما معنى هذا الكلام؟

لم تجب .

— أمي، ماذا فعل أبي؟

مسحت دموعها .

— كان أبوك رجلاً طيباً في أوقات، وقاسياً في أوقات
أخرى . أحبنا بطريقته، لكنه ارتكب أخطاء لم أستطع
نسيانها .

— أي أخطاء؟

نظرت إلى صورة زوجها .

—كان يعتقد أن الخوف يحيي العائلة، وأن الصمت يحفظ كرامة الرجل، وأن الاعتراف بالخطأ يجعله ضعيفًا. ثم أضافت:

—لكنه اكتشف متأخرًا أن الإنسان يستطيع أن يخدع الجميع، إلا ذاكرته. أغلق سامر الرسالة.

في تلك اللحظة، فهم أن القصة التي سمعها عن أبيه طوال حياته لم تكن كاملة.

لكنه لم يفهم بعد أن السؤال الحقيقي لم يكن: ماذا فعل عبدالقادر؟

بل كان:

ماذا ورث سامر من أبيه دون أن يشعر؟

الفصل الثالث:

نادية تعود من الماضي

التقى سامر بنادية بعد يومين في مقهى صغير يطل على البحر.

وصل قبل الموعد بعشرين دقيقة، وجلس قرب النافذة. كان البحر هادئاً، لكن الأمواج الصغيرة التي تضرب الصخور بدت له كأنها تكرر حركة قلبه المضطرب. عندما دخلت نادية، لم يعرفها في البداية.

كانت قد تغيرت كثيراً.

لم تعد الفتاة التي عرفها في الحي القديم، بشعرها الطويل وضحكتها العالية.

أصبحت امرأة في منتصف الثلاثينيات، هادئة الملامح، تحمل في عينيها حزناً لا يمكن إخفاؤه. وقفت أمامه.

—السلام عليك يا سامر.

نهض.

—وعليك السلام.

ترددا لحظة، ثم تصافحا.

جلسا متقابلين.

قال سامر:

—خمسة عشر عامًا، ثم تتصلين بي لتخبريني أن أبي لم يمت كما كنت أعتقد.

—لم أقل ذلك.

—قلت إنك تعرفين الحقيقة.

—لأنني أعرف جزءًا منها.

—وما الذي منعك من إخباري طوال هذه السنوات؟ نظرت إلى البحر.

—الخوف.

ضحك بمرارة.

—يبدو أن الخوف هو التفسير الوحيد لكل شيء في حياتنا.

أخرجت من حقيبتها صورة قديمة.

كانت الصورة تجمع ثلاثة أشخاص:

والد سامر، ورجلاً آخر لم يعرفه، وامرأة تقف بعيداً عنهما.

قالت:

—هل تعرف هذا الرجل؟

تأمل سامر الصورة.

—لا.

—اسمه رشيد بن عيسى. كان شريك والدك في مشروع تجاري قديم.

—لم يخبرني أبي عنه.

—لأن شراكتهما انتهت بطريقة سيئة.

—ما علاقة ذلك بموت أبي؟

أخذت نفساً عميقاً.

—قبل وفاة والدك بأشهر، كان هناك خلاف كبير بينه

وبين رشيد. اختفت أموال من المشروع، واتهم كل منهما الآخر بالخيانة.

—وهل كان أبي متورطاً؟

—لا أعرف كل التفاصيل. لكنني أعرف أن رشيد كان

يهده، وأن والدك كان يعيش في خوف شديد.

شعر سامر بالضيق.

—ولماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟

—لأن أبي كان يعمل مع رشيد، ولأنني سمعت حديثاً لم

يكن من المفترض أن أسمعه.

—أي حديث؟

أخفضت صوتها.

— في الليلة التي سبقت وفاة والدك، جاء رشيد إلى منزلنا. كان غاضبًا. سمعته يقول لأبي إن عبدالقادر لن يستطيع الهرب من الحقيقة إلى الأبد.

توقف سامر عن التنفس للحظة.

— هل تعنين أن رشيد قتل أبي؟

هزت رأسها بسرعة.

— لا أقول ذلك. لا أملك دليلًا. كل ما أعرفه أن شيئًا حدث، وأن الجميع اختاروا الصمت بعده.

— ومن الجميع؟

نظرت إليه مباشرة.

— أمك. أبي. وبعض الرجال الذين كانوا يعرفون أكثر مما قالوا.

شعر سامر بالغضب.

— هل تتوقعين مني أن أصدق كلامًا سمعته طفلة منذ

خمسة عشر عامًا؟

— لا. أريدك أن تتحقق بنفسك.

أخرجت ورقة صغيرة ووضعتها أمامه.

كان مكتوبًا عليها عنوان مكتب قديم في وسط المدينة.

— ماذا يوجد هناك؟

—سجلات شركة والدك. لم تُحفظ كلها، لكنني أعتقد
أن بعض الوثائق ما زالت موجودة.
نهض سامر.

—إذا كنت تعرفين كل هذا، فلماذا عدت الآن؟ ترددت
نادية.
ثم قالت:

—لأن رشيد مات قبل شهر.
نظر إليها باستغراب.

—وماذا يعني موته؟
أجابت بصوت خافت:

—قبل وفاته بأيام، أرسل إليّ رسالة.
قال فيها إنه يريد أن يصحح خطأ ارتكبه منذ سنوات،
وإن هناك شخصًا بريئًا دفع ثمن ذلك الخطأ.
—من هو؟

لم تجب فورًا.
أخرجت مظروفًا صغيرًا وسلمته إليه.
—لم أفتحه.

الرسالة موجهة إليك.
خذ سامر المظروف

وعلى وجهه، ظهر للمرة الأولى ذلك التعبير الذي كانت ليلى
تراه كلما اقتربت من شيء يخفيه.
الخوف.

الفصل الرابع:

المرأة الأولى

عاد سامر إلى منزله متأخراً.
وجد ليلى جالسة في غرفة الجلوس، وبجانها كتاب مفتوح
لم تقرأ منه سوى صفحتين .
نظرت إليه.
— أين كنت؟
— التقيت بشخص من الماضي.
— نادية؟
توقف عند الباب.
— كيف عرفت؟
— لأنك منذ يومين لا تتحدث إلا وأنت غائب عن المكان.
ولأنني رأيت اسمها على شاشة هاتفك عندما اتصلت بك .
جلس أمامها.
— هل فتشت هاتفني؟
— لم أفتشه. ظهر الاسم أمامي، ولم أكن أعرف أن هناك
شيئاً يجب أن أخاف منه.
وضع المظروف على الطاولة.
— هناك أسرار عن أبي لم أعرفها من قبل .
اقتربت منه.
— هل تريد أن تحكي لي؟

ظل صامتًا.
ثم بدأ يتحدث عن الرسالة، والصندوق، والمحادثة مع
نادية.
استمعت إليه حتى انتهى.
قالت ليلي:
—هل تعتقد أن والدك قُتل؟
—لا أعرف.
—وماذا ستفعل؟
—سأبحث عن الحقيقة.
أمسكت يده.
—حسنًا. لكن أريد منك شيئًا واحدًا.
—ما هو؟
—لا تجعل البحث عن أخطاء أبيك يمنحك عذرًا
لارتكاب أخطائك أنت.
نظر إليها طويلًا.
لم يكن يعرف لماذا شعر بأن عبارتها موجهة إليه أكثر مما
هي موجهة إلى ماضيه.
في الأيام التالية، انشغل سامر بالبحث في سجلات الشركة
القديمة.

اكتشف أن والده كان قد دخل في نزاع مالي كبير قبل وفاته، وأن جزءًا من أموال المشروع اختفى بالفعل. لكن الوثائق لم تثبت أن والده سرق المال، كما لم تثبت أن رشيد ارتكب جريمة.

كانت هناك أسماء وتوقعات وحسابات ناقصة، ثم فراغ طويل ينتهي بوفاة عبدالقادر.

وفي أثناء بحثه، عثر على اسم لم يكن يتوقع رؤيته. كمال مراد.

كان كمال صديقه المقرب وشريكه في مشروع استثماري صغير بدأه سامر قبل ثلاث سنوات.

أعاد قراءة الاسم مرات عدة.

كان كمال يعرف أسرار عمله، ويطلع على حساباته، ويثق به ثقة كاملة.

اتصل به فورًا.

—أريد أن أراك.

—هل حدث شيء؟

—نعم. وأريد أن نتحدث معي بصراحة.

ضحك كمال عبر الهاتف.

—أنت تتحدث وكأننا في تحقيق جنائي.

أجابه سامر:

—ربما نحن كذلك. ساد الصمت لحظة.

ثم قال كمال:

—تعال إلى المكتب مساءً.

أغلق سامر الهاتف.

كان قد أمضى سنوات يظن أن معرفة الآخرين أمر سهل،
وأنه يستطيع التمييز بين الصادق والكاذب بمجرد النظر
إلى وجوههم.

لكنه بدأ يفهم أن الإنسان لا يرى الآخرين كما هم دائماً،
بل يراهم كما تسمح له مخاوفه ورغباته أن يراهم.

وكانت تلك أول مرة يسأل فيها نفسه:

هل أخطأت في قراءة كمال، أم أنني لم أكن أريد أن أرى
الحقيقة منذ البداية؟

الفصل الخامس:

خيانة في وضح النهار

دخل سامر مكتب كمال عند الساعة مساءً .
كان المكان شبه خالٍ، باستثناء صوت جهاز التكييف
وصفحات أوراق تتقلب فوق المكتب .
رفع كمال رأسه مبتسمًا.
— أهلاً بصديقي.
ما الذي يجعلك تزورني بهذه الجدية؟
أغلق سامر الباب.
— هل تعرف رجلاً اسمه رشيد بن عيسى؟
اختفت الابتسامة عن وجه كمال لثانية واحدة، لكنها
كانت كافية .
جلس سامر أمامه.
— يبدو أن الاسم ليس غريباً عليك .
تنحنح كمال.
— سمعت عنه. كان رجل أعمال معروفًا.
— هل عملت معه؟
— قبل سنوات، في مشروع صغير.
— لماذا لم تخبرني؟ رفع كمال كتفيه.
— لأن الأمر لا علاقة له بعملنا.
أخرج سامر صورة قديمة ووضعها أمامه .

تأملها كمال.

—من أين حصلت على هذه؟

—أجب عن السؤال .

تهمد كمال.

—نعم، عملت مع رشيد لفترة قصيرة.

لكن المشروع فشل وانتهى الأمر.

—هل كنت تعرف أبي؟

سكت كمال .

كانت تلك اللحظة كافية ليعرف سامر أن هناك شيئًا آخر.

—كمال، هل كنت تعرف أبي؟

أجاب أخيرًا :

—التقيته مرتين.

—وماذا حدث؟

—لا شيء .

ضرب سامر الطاولة بيده.

—لا تكذب عليّ !

نهض كمال بدوره.

—لا ترفع صوتك في وجهي.

أنا لست متهمًا عندك .

وقف سامر أمامه.

—أنت شريكي وصديقي، وأريد أن أفهم لماذا يظهر اسمك في سجلات شركة أبي قبل وفاته.

تغير وجه كمال.

—اسمعي جيداً.

لا أعرف ماذا تبحث عنه، لكنك إذا فتحت ملفات الماضي، فلن يعجبك ما ستجده.

—هل هذا تهديد؟

—هذه نصيحة.

خرج سامر من المكتب دون أن يحصل على إجابة.

وفي الطريق إلى المنزل، اتصل به محاميه وأخبره أن هناك تحويلات مالية غير معتادة في حساب المشروع المشترك.

كانت الأموال قد نُقلت إلى شركة مسجلة باسم شخص آخر، لكن التوقيع الإلكتروني يعود إلى حساب كمال.

لم يصدق سامر في البداية.

راجع المستندات، ثم راجعها مرة أخرى.

كانت الأدلة واضحة بما يكفي لتثير الشك، لكنها لم تكن كافية وحدها لتفسير كل شيء.

اتصل بكمال.

لم يجب .
أرسل إليه رسالة.
لم يرد .
وفي اليوم التالي، اكتشف أن كمال أغلق مكتبه وغادر
المدينة.
شعر سامر بالخيانة .
لم تكن الخسارة المالية هي ما يؤلمه أكثر، بل اكتشافه أن
الرجل الذي كان يشاركه أفكاره وأحلامه استطاع أن
يخدعه طوال سنوات .
عاد إلى المنزل، فوجد ليلى تنتظره .
حكى لها ما حدث .
قالت بهدوء:
—هل أنت متأكد من أنه فعل ذلك؟
—كل الأدلة تشير إليه.
—إذن اتبع الإجراءات القانونية، لكن لا تسمح للغضب
بأن يجعلك تحكم قبل أن تكتمل الحقيقة. نظر إليها
بحدة.
—لماذا تدافعين عنه؟
—أنا لا أدافع عنه.

أحاول أن أحميك من نفسك .

ضحك بسخرية.

—من نفسي؟

قالت:

—نعم. عندما تتألم، تتحول إلى شخص لا يشبه الرجل الذي أعرفه. تصبح قاسيًا، وتتهم الجميع، ثم تقول إنك تفعل ذلك لأنك لا تريد أن تُخدع مرة أخرى .

صمت .

تابعت:

—لكنك لا تستطيع حماية نفسك من الخيانة بأن تخون ثقتك بكل الناس.

لم يرد.

دخل غرفة النوم وأغلق الباب.

في تلك الليلة، رأى في منامه أنه يقف أمام مرآة، لكن انعكاسه كان يبتسم بينما هو يبكي.

وحين حاول أن يلمس الزجاج، سمع صوتًا يقول:

«أنت لا تخاف من أن يخونك الآخرون يا سامر. أنت

تخاف من أن تكتشف أنك كنت تعرف، لكنك اخترت ألا

تري.»

استيقظ مذعورًا.
ولم يستطع العودة إلى النوم.

الفصل السادس:

الرسالة التي غيّرت كل شيء

بعد ثلاثة أيام، وصل إلى منزل سامر طرد صغير بلا اسم للمرسل .

كان يحتوي على دفتر قديم، وصورة لوالده يقف أمام منزل ريفي، ورسالة بخط يد رشيد .
فتح الرسالة.
«إلى سامر،

لا أعرف إن كنت سأعيش حتى أتمكن من مقابلتك. لقد ارتكبت أخطاء كثيرة، وبعضها كان أكبر مما استطعت الاعتراف به .أبوك لم يكن بريئًا تمامًا، لكنه لم يكن المجرم الذي صوره بعض الناس .في تلك السنوات، كنت أظن أن المال يستطيع شراء الصمت، وأن النفوذ يستطيع إخفاء الحقيقة. ثم اكتشفت أن كل شيء يمكن دفنه إلا أثره في نفوس الذين بقوا أحياء .هناك شخص واحد يعرف ماذا حدث في الليلة الأخيرة .لا تبحث عنه في سجلات الشركة، ولا في بيوت الرجال الذين عملوا معي .
ابحث عنه في المكان الذي بدأ فيه خوفك.»

قرأ سامر الرسالة ثلاث مرات .

المكان الذي بدأ فيه خوفه .

فكر في طفولته، في منزل العائلة، في المدرسة القديمة، وفي السنوات التي عاشها مع والده.

ثم تذكر حادثة ظلت عالقة في ذاكرته.

كان في العاشرة من عمره عندما اختفى من المنزل ذات مساء، وعاد بعد ساعات وهو يرتجف ويبكي.

لم يتحدث عن تلك الليلة مطلقًا، وكلما سأله أمه عنها، كان يقول إنه لا يتذكر شيئًا.

كانت ذاكرته تحتفظ بصورة غامضة:

باب حديدي، وصوت رجل يصرخ، ورائحة تراب مبتل. لم يكن يعرف إن كانت تلك الصور حقيقية أم أنها أحلام اختلطت بذاكرات طفولته.

اتصل بأمه.

—أريد أن أسألك عن شيء قديم.

—ماذا هناك؟

—عندما كنت في العاشرة، اختفيت من المنزل لساعات.

ماذا حدث يومها؟

طال الصمت.

ثم سمع صوتها المرتجف.

—من أخبرك بهذا؟

—هل حدث ذلك فعلاً؟

تنهدت.

—نعم.

—أين كنت؟

—وجدك أبوك قرب المخزن القديم في أطراف القرية.

—لماذا كنت هناك؟

—لم تخبرنا.

—وهل سألت أبي؟

—سألته.

قال إنه وجدك ضائعاً، وإنك كنت خائفاً.

وبعدها طلب مني ألا أفتح الموضوع مرة أخرى .

شعر سامر بقشعريرة تسري في جسده.

—هل تعرفين أين يقع ذلك المخزن؟

—ما زال موجوداً، على ما أعتقد .

أغلق الهاتف .

لم يكن يعرف ماذا سيجد هناك، لكنه شعر أن حياته

كلها تقوده نحو ذلك المكان.

وللمرة الأولى، لم يكن يبحث عن سر والده .

كان يبحث عن طفل نسي شيئاً من حياته .

طفل ربما كان يعرف الحقيقة قبل أن يتعلم كيف يخاف
منها.

الفصل السابع:

المخزن القديم

انطلق سامر صباح السبت إلى القرية التي عاش فيها طفولته .

كانت الطريق تمر بين حقول واسعة وتلال جافة، وتبدو البيوت القديمة على أطرافها كأنها تتشبث بالأرض رغم تغير الزمن.

وصل إلى المكان بعد ساعتين .

لم يتغير المخزن كثيرًا .

جدران متشققة، وباب حديدي صدئ، وساحة صغيرة غطتها الأعشاب البرية .

ترجل من السيارة، ووقف أمام الباب .

لم يعرف لماذا شعر بأن المكان يتذكره .

أخرج المفتاح الذي وجده في صندوق والده.

كان المفتاح صغيرًا وقديمًا، وعلى رأسه علامة تشبه حرف السين .

أدخله في القفل.

دار بصعوبة، ثم انفتح الباب مصحوبًا بصرير طويل . كانت

رائحة الغبار والرطوبة تملأ المكان .

دخل ببطء، وأضاء مصباح هاتفه.



وجد صناديق خشبية، وأدوات قديمة، وخزانة حديدية
في الزاوية .
اقترب منها .
كانت مقفلة، لكن الباب لم يكن محكمًا.
دفعه فانفتح.
في الداخل، وجد ملفات وصورًا وأوراقًا ملفوفة في قطعة
قماش .
وكان هناك دفتر صغير يحمل اسمه .
جلس على الأرض وفتحه .
في الصفحات الأولى، وجد ملاحظات بخط والده.
«سامر اليوم أكثر هدوءًا من المعتاد.»
«عاد إلى البيت وهو خائف، لكنه يرفض الحديث عما
رآه.»
«لا أعرف كيف أشرح له ما حدث.»
ثم وجد جملة جعلت يده ترتجف:
«إذا تذكر سامر تلك الليلة، فقد أخسر ابني إلى الأبد.»
أغلق الدفتر، وأخذ نفسًا عميقًا .
كان هناك ظرف آخر في أسفل الخزانة، مختوم بالشمع .
فتح الظرف .

وجد بداخله صورة قديمة لوالده ورشيد وكمال، ومعهم
رجل رابع لم يعرفه .

خلف الصورة، كُتبت عبارة :

«الحقيقة التي اتفقنا على دفنها.»

وفجأة، سمع صوتًا خلفه.

—كنت أعرف أنك ستأتي إلي هنا يومًا.

استدار بسرعة .

كان رجل مسن يقف عند الباب، يرتدي معطفًا رماديًا

ويحمل عصًا خشبية .

تأمل سامر وجهه .

ثم شعر بصدمة .

لقد رأى هذا الرجل في الصورة العائلية القديمة، وإن كان

أكبر سنًا بكثير .

قال سامر:

—من أنت؟

أجاب الرجل:

—اسمي الطاهر. كنت أعمل مع أبيك.

—هل تعرف ماذا حدث له؟

دخل الرجل وأغلق الباب خلفه.

—أعرف أكثر مما ينبغي.

—إذن أخبرني.

جلس الطاهر على صندوق خشبي، وأشار إلى المكان أمامه.

—اجلس يا بني.

ما سأقوله لك لن يغير الماضي، لكنه قد يغير الطريقة التي
تنظر بها إلى نفسك.

جلس سامر قبالة.

قال الطاهر:

—في الليلة التي مات فيها والدك، لم يكن الخلاف حول
المال وحده.

كان هناك سر أكبر، سر يتعلق بك أنت.

تجمد سامر.

—بي أنا؟

أوماً الرجل.

—قبل سنوات من وفاة أبيك، شهدتَ حادثة لم يكن
من المفترض أن تراها.

كنت طفلاً، لكنك رأيت شيئاً جعل والدك يخاف عليك.

—ماذا رأيت؟

أغمض الطاهر عينيه.

—رأيت رجالاً يدفنون أوراقًا وأشياء في هذا المخزن، بعد
أن وقع حادث أدى إلى موت رجل.
شعر سامر أن الأرض تميد تحته.
—أي رجل؟
قال الطاهر بصوت منخفض:
—رجل كان اسمه يونس.
كان يعمل محاسبًا في شركة أبيك، واكتشف أن بعض
الأموال تُسرق من المشروع.
حاول فضح الأمر، لكنه اختفى في ظروف غامضة.
—وهل قتلوه؟
—لا أستطيع أن أجزم بذلك.
لكنني أعرف أن والدك كان حاضرًا في الليلة التي اختفى
فيها يونس .
وقف سامر.
—وأبي؟
هل كان قاتلاً؟
رفع الطاهر رأسه.
—لا تتعجل الحكم.
أبوك أخفى الحقيقة، لكنه حاول لاحقًا إصلاح ما حدث.

وعندما قرر الاعتراف، بدأ التهديد.

—ومن هدهد؟

نظر الطاهر إلى الصورة التي يحملها سامر.

—الرجال الذين ظنوا أن الصمت سيحميهم إلى الأبد.

—هل كان رشيد واحدًا منهم؟

—نعم.

—وكمال؟ سكت الطاهر لحظة.

ثم قال:

—كمال لم يكن جزءًا من القصة القديمة في البداية.

لكنه اكتشف بعض أسرارها لاحقًا، واستغلها لمصلحته.

شعر سامر بالغثيان.

كانت الخيوط تتشابك، لكن شيئًا واحدًا بقي مجهولًا.

—ماذا حدث في الليلة التي مات فيها أبي؟

أجاب الطاهر:

—إذا أردت أن تعرف، فعليك أن تسمع التسجيل الذي

تركه.

أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا قديمًا.

وضعه في يد سامر.

لكنني أحذرك يا بني:

الحقيقة لا تؤلم لأنها تكشف أخطاء الآخرين فقط، بل
لأنها تجبرنا على مواجهة ما فعلناه نحن.

الفصل الثامن:

صوت من الموت

عاد سامر إلى منزله حاملاً الجهاز القديم.
لم يخبر ليلي بما اكتشفه في المخزن، ولم يخبر أمه بأنه
قابل الطاهر.
كان يشعر أن كل كلمة يقولها قد تفتح باباً جديداً لا
يستطيع إغلاقه.
في الليل، جلس وحده في غرفة المكتب.
أخرج الجهاز، ووصل به سماعات صغيرة، ثم ضغط زر
التشغيل.
صدر صوت تشويش، أعقبه صوت والده.
كان عبدالقادر يتحدث ببطء، وكأنه يعرف أن هذه
الكلمات قد تكون آخر ما يتركه لابنه.
«إذا وصل هذا التسجيل إلى سامر، فهذا يعني أنني لم
أستطع قول الحقيقة بنفسى. يا بني، لا أعرف إن كنت
ستسامحني يوماً. لا أعرف إن كنت ستفهم لماذا فعلت ما
فعلته. كنت أظن أن حماية العائلة تعني إخفاء كل ما قد
يؤلمها. كنت أعتقد أن الأب يجب أن يبدو قوياً دائماً، حتى
لو كان داخله ينهار. لكنني كنت مخطئاً في قضية يونس،
ارتكبت خطأ لن أستطيع إصلاحه مهما عشت. لم أقتله،

لكنني صمتُ عندما كان يجب أن أتكلم. خفت على نفسي وعلى عائلتي، فتركت رجالاً آخرين يخفون الحقيقة .

وعندما حاولت التراجع، أصبحت حياتك أنت في خطر. في الليلة التي سبقت موتي، التقيت رشيد لأخبره أنني سأذهب إلى الشرطة، وأنني لن أسمح باستمرار هذا الكذب. لم يكن اللقاء هادئاً. حدث شجار، ثم غادرت المكان وأنا أعرف أنني لن أستطيع العودة إلى حياتي القديمة..أما ما حدث على الطريق بعد ذلك، فلا أستطيع أن أقول إنني أعرف كل تفاصيله. كنت خائفاً، وكنت أظن أنني مراقب. لكن هناك أمراً يجب أن تعرفه يا سامر. أنت لم تكن السبب فيما حدث. لا تحمل نفسك ذنبي، ولا تجعل خوفك من الماضي يحرمك من المستقبل. إذا أردت أن تنقذ نفسك، فتعلم أن تقول الحقيقة، حتى عندما تكون الحقيقة ضدك. وإذا أردت أن تعرف الرجل الذي أصبحت عليه، فلا تكتفِ بقراءة أخطائي. اقرأ أخطاءك أنت أيضاً.»

انتهى التسجيل .

ظل سامر جالساً في الظلام.

لم يبك .

كان يشعر بالألم أعمق من البكاء، ألم يشبه اكتشاف أن الإنسان قضى عمره يكره صورة ناقصة عن أبيه، ثم اكتشف أن الصورة الكاملة أكثر تعقيداً من الكراهية والبراءة.

لم يكن أبوه قاتلاً بحسب ما سمع، لكنه لم يكن بريئاً من الصمت.

كان قد اختار الخوف، ثم دفع ثمن اختياره. فكريسامر في حياته.

كم مرة صمت عندما كان يجب أن يتكلم؟
كم مرة أخفى خطأ ارتكبه كي لا يخسر احترام الآخرين؟
وكم مرة اتهم الناس بالخيانة لأنه لم يستطع الاعتراف
بأنه منحهم ثقته دون أن يفهمهم؟
أضاء هاتفه.

كانت هناك رسالة من ليلي:

«أعرف أنك تمر بشيء صعب. أنا هنا عندما تقرر أن تتحدث معي.»

قرأ الرسالة، ثم وضع الهاتف على الطاولة.
ولأول مرة، لم يشعر بالرغبة في الهرب.

كان يعرف أنه يحتاج إلى الحديث، لكنه لم يعرف كيف يبدأ.

الفصل التاسع:

ليلی تعرف ما لا يعرفه سامر

في صباح اليوم التالي، دخل سامر المطبخ فوجد ليلى ترتب بعض الأوراق .

كانت تبدو هادئة، لكنها رفعت رأسها فور أن رآته.

—أريد أن أسألك سؤالاً .

جلس قبالتها.

—تفضلني.

—هل تعرف لماذا لا تستطيع أن تثق بي ثقة كاملة؟
تفاجأ.

—أنا أثق بك .

ابتسمت بحزن.

—أنت تثق بأني لن أتركك، لكنك لا تثق بأني أستطيع
تحمل حقيقتك .

لم يجب .

أكملت:

—عندما تزوجنا، أخبرتني أنك لا تحب الحديث عن
طفولتك.

احترمت ذلك.

ثم اكتشفت أنك لا تحب الحديث عن أي شيء يؤلمك،
وأنت كلما شعرت بالخوف، تحولت إلى رجل بارد لا يسمح
لأحد بالاقتراب منه .

خفض سامر رأسه.

—لم أكن أريد أن أؤذيك.

—أعرف. لكن النوايا الطيبة لا تمنع الألم دائمًا.

ساد الصمت .

ثم قالت:

—هناك شيء آخر يجب أن أخبرك به .

رفع رأسه.

—ماذا؟

—قبل أسبوعين، اتصل بي رجل اسمه كمال .

تغير وجه سامر.

—كمال؟

وماذا أراد منك؟

—قال إنه يمر بأزمة، وإنه يريد مني أن أقنعك بعدم

تقديم شكوى ضده.

وقف سامر.

—ولماذا لم تخبريني؟

قالت بهدوء:

—لأنني طلبت منه أن يتحدث معك مباشرة، ورفض. ثم أرسل لي بعض المستندات، وطلب مني أن أحفظ بها حتى يتواصل معي مرة أخرى.

—أين هي؟

أخرجت ملفًا من درج المطبخ ووضعتة أمامه .

فتحه بسرعة .

كانت المستندات تتعلق بتحويلات مالية، ورسائل بين كمال ورجل آخر، ونسخ من وثائق قديمة تخص شركة والده .

لكن المفاجأة كانت في آخر الملف .

رسالة إلكترونية من كمال إلى شخص مجهول، جاء فيها:
«إذا ظهر سامر في الموضوع، فعلينا أن نتحرك بسرعة. هو لا يعرف شيئًا عن ليلة أبيه، وإذا عرف فقد يفتح الملفات التي حاولنا إغلاقها.»

قرأ سامر العبارة بصوت مرتفع.

—كان يعرف كل شيء!

هزت ليلي رأسها.

—ربما كان يعرف بعض الأشياء فقط.



—لماذا تدافعين عنه مرة أخرى؟

أجابته بحزم:

—لأنني لا أريد أن أراك تتحول إلى نسخة أخرى من

الرجال الذين تكرههم.

تراجع خطوة .

كانت كلماتها موجعة لأنها أصابت الحقيقة .

لقد بدأ بالفعل يتعامل مع كل شخص كأنه متهم، وكل

صمت كأنه اعتراف، وكل غموض كأنه دليل إدانة .

قال بصوت منخفض:

—أنا لا أعرف ماذا أفعل .

اقتربت منه وأمسكت يده.

—ابداً بأن تعترف أنك لا تعرف.

ليس عيباً أن تكون خائفاً، ولا أن تكون مرتبكاً.

العيب أن تجعل خوفك يتحكم في قراراتك ثم تلقي باللوم

على الآخرين .

جلس سامر .

للمرة الأولى منذ سنوات، سمح لنفسه بأن يبدو ضعيفاً

أمام شخص آخر.

حكى لها عن التسجيل، وعن الطاهر، وعن المخزن، وعن كل ما شعر به منذ اتصال نادية .

استمعت إليه دون أن تقاطعه .وعندما انتهى، قالت:

—أتعرف ما الذي أراه في كل هذا؟

—ماذا؟

—أنك قضيت عمرك تبحث عن الحقيقة التي أخفاها أبوك، بينما كنت تخفي حقيقتك أنت عن أقرب الناس إليك.

نظر إليها .

ثم بكى.

لم يكن بكاءً صاخبًا، بل دموع رجل تعب من التظاهر بالقوة .

احتضنته ليلى .

وفي تلك اللحظة، لم تحل مشكلاته، ولم تختفِ أسرار الماضي .

لكن شيئًا تغير داخله.

للمرة الأولى، لم يشعر أن ضعفه عدو يجب أن يهزمه.

بل شعر أنه جزء منه يحتاج إلى الفهم.

الفصل العاشر:

الوجه الآخر لكمال

بعد أيام من البحث، تمكن المحامي من تحديد مكان كمال .

كان يقيم في شقة صغيرة بمدينة بعيدة عن العاصمة، بعيداً عن شركائه ومعارفه السابقين .

سافر سامر لمقابلته، لكنه لم يذهب وحده .

اصطحب محاميه، وأخبر نادية بما ينوي فعله .

عندما فتح كمال الباب، بدا شاحباً ومتعباً .

لم يحاول الابتسام .

قال:

—كنت أعرف أنك ستصل إليّ .

دخل سامر وجلس .

—أريد الحقيقة كاملة .

أشعل كمال سيجارة، ثم أطفأها قبل أن يسحب منها نفساً .

—لا أعرف من أين أبدأ .

—ابدأ بالأموال التي سرقتها .

أطرق كمال رأسه .

—نعم، أخذت المال من المشروع .

كنت أعتقد أنني سأعيده قبل أن تكتشف الأمر .

—ولماذا فعلت ذلك؟

—لأنني كنت غارقًا في الديون.

—كان بإمكانك أن تطلب المساعدة.

ضحك كمال بمرارة.

—منك أنت؟

كنت ستنظر إليّ باعتباري رجلًا فاشلاً.

وأنا لم أحتمل فكرة أن أبدو ضعيفًا أمامك .

نظر سامر إليه طويلاً .

كانت العبارة مألوفة أكثر مما ينبغي .

أدرك أنه يعرف هذا الشعور جيدًا، وإن كان قد اختار

طريقة مختلفة للتعامل معه .

قال:

—وما علاقتك بأسرار أبي؟

تنهد كمال.

—قبل سنوات، عملت مع رجل كان يعرف رشيد.

من خلاله وصلت إلى بعض الوثائق القديمة، وعرفت أن

هناك قضية لم تُغلق كما ينبغي.

—هل كنت تعرف أبي؟



—لم أعرفه شخصيًا، لكنني عرفت أن اسمه مرتبط بالقضية.

—ولماذا لم تخبرني؟

—لأنني رأيت فرصة.

كنت أعرف أنك ستبحث عن الحقيقة يومًا ما، وكنت أظن أن هذه المعلومات قد تمنحني وسيلة للضغط عليك إذا اكتشفت أمر الأموال.

شعر سامر بالغثيان.

—كنت ستبتزني؟

—نعم.

لم يحاول كمال الإنكار.

قال سامر:

—هل كنت تعرف ماذا حدث لأبي في تلك الليلة؟

—لا أعرف كل شيء.

لكنني حصلت على وثيقة تشير إلى أن السيارة التي كان يستقلها خضعت لفحص قبل الحادث بأيام.

ساد الصمت.

—ماذا تقصد؟

—هناك تقرير قديم يذكر وجود خلل في نظام الفرامل.



لكني لا أعرف إن كان الخلل متعمدًا أم لا.
وقف سامر.

—وأين التقرير؟

—في حقيبتني .

أخرج كمال ملفًا وسلمه إليه .

قرأ سامر التقرير، فوجد أنه يحمل توقيع فيني صيانة،
وتاريخًا يسبق وفاة والده بثلاثة أيام.

لكن التقرير لم يثبت وجود جريمة، بل أشار إلى عطل
محتمل يحتاج إلى فحص إضافي .

قال سامر:

—لماذا احتفظت به؟

—لأنني كنت أبحث عن وسيلة لحماية نفسي.

ظننت أن امتلاك هذه الوثيقة قد يفيدني إذا واجهت
مشكلة .

نظر إليه سامر باشمئزاز.

—أنت لم تكن تبحث عن الحقيقة.

كنت تبحث عن سلاح .

أطرق كمال رأسه.

—نعم .

وقف سامر متجهاً إلى الباب .

ثم توقف.

—سأقدم المستندات إلى المحامي والجهات المختصة. لن

أستخدمها للانتقام منك، ولن أخفي ما فعلته أنت .

قال كمال بصوت مكسور:

—هل تكرهني؟

فكر سامر طويلاً .

ثم أجاب:

—كنت أعتقد أن الكراهية ستجعلني أقوى.

لكنني بدأت أفهم أنها تربطني بالشخص الذي أكرهه أكثر

مما تحررني منه.

فتح الباب.

—سأترك القانون يحاسبك، وسأحاول أن أتعلم كيف

أحاسب نفسي دون أن أحطمها .

خرج سامر .

وفي الطريق إلى الفندق، شعر أنه لم ينتصر على كمال .

لكنه انتصر على رغبة قديمة في أن يجعل الألم مبرراً لكل

ما قد يفعله .

وكان ذلك انتصاراً صغيراً، لكنه حقيقي.

الفصل الحادي عشر:

أم تخفي دموعها

عاد سامر إلى منزل أمه بعد غياب أيام .
كانت مريم تجلس في الحديقة، أمام شجرة البرتقال التي
زرعها والده قبل سنوات طويلة.
جلس بجانبها .
لم يتحدثا في البداية .
كان صوت العصافير يملأ المكان، والريح تحرك أغصان
الشجرة برفق .
قال سامر أخيراً:
—أريد أن أعرف كل شيء يا أمي .
أغمضت مريم عينيها.
—كنت أعلم أن هذا اليوم سيأتي.
—لماذا أخفيت عني الحقيقة؟
نظرت إليه.
—لأنني كنت أريد حمايتك.
—من ماذا؟
من الماضي أم من معرفة أن أبي لم يكن كاملاً؟ سقطت
دمعة على خدها.
—من الألم.
أجابها سامر:

—لكنني عشت الألم دون أن أعرف سببه .

لم تجب .

ثم قالت:

—بعد وفاة أبيك، لم أكن أملك القوة لأخبرك بكل ما حدث.

كنت أخشى أن تكره أباك، أو أن تكرهني لأنني بقيت معه رغم أخطائه.

—هل كنت تعرفين أنه كان سيعترف؟
أومات.

—نعم. في الليلة السابقة للحادث، عاد إلى البيت وهو مضطرب.

قال إنه سيتوجه في اليوم التالي إلى الشرطة، وإنه لن يواصل الصمت.

—وماذا حدث بعد ذلك؟

—خرج صباحًا، ولم يعد.

وضعت يدها على صدرها.

—عندما وصلني خبر الحادث، شعرت أن شيئًا غير طبيعي قد حدث.

لكنني لم أكن أملك دليلًا.

ثم جاءني رجلان وقالوا إن الأفضل لي أن أنسى الأمر إذا
كنت أريد أن أربي ابني بسلام.
تجمد سامر.

—هل هددوك؟

—لم يهدداني صراحة.

لكنهما كانا يعرفان كل شيء عن حياتنا، وعن المدرسة التي
تذهب إليها، وعن طريقك إلى المنزل.
خفضت رأسها.

—كنت أرملة، وأنت طفل.

خفت أن أخسرك أنت أيضًا.

جلس سامر صامتًا.

لم يكن يعرف كيف يتعامل مع اعترافها.

كان يريد أن يغضب، وأن يسألها لماذا لم تقاوم، ولماذا لم
تذهب إلى الشرطة، ولماذا تركته يعيش سنوات طويلة
داخل قصة ناقصة.

لكنه رأى يديها المرتجفتين، ووجهها الذي حفر الحزن
أخايدته فيه.

أدرك أن أمه لم تكن بطلة شجاعة في قصة بسيطة، ولا
امرأة جبانة في قصة أخرى.

كانت إنسانة خائفة، اتخذت قرارًا تحت ضغط لم يفهمه أحد.

قال:

—هل ندمت؟

ابتسمت بحزن.

—كل يوم.

—وهل كنت ستفعلين الشيء نفسه لو عاد بك الزمن؟

ظلت صامته طويلاً.

ثم أجابت:

—لا أعرف.

وهذا أكثر ما يؤلمني.

كنت أظن أنني اخترت حماية ابني، لكنني لم أسأله يومًا

إن كان يستطيع العيش مع الحقيقة.

أمسك سامريدها.

—كنت طفلًا يا أمي. لم يكن من واجبك أن تجعليني

أتحمل كل شيء.

لكن كان بإمكاننا أن نواجهه معًا عندما كبرت.

بكت مريم.

—سامحي يا بني.

لم يقل لها إنه سامحها فورًا، لأنه لم يكن يريد أن يمنحها وعدًا لا يعرف إن كان قادرًا على الوفاء به .
قال فقط:

—أريد أن أفهمك، وأريد أن أفهم نفسي.
ربما يكون ذلك بداية الطريق .
ثم نهض، واحتضنها.

كان يعرف أن بعض الجروح لا تلتئم في لحظة، وأن الاعتراف لا يمحو السنوات الضائعة.
لكنه أدرك أن الصمت الذي حكم حياتهم لم يعد قادرًا على حمايتهم .
لقد حان الوقت كي يتكلموا.

الفصل الثاني عشر:

حين يصبح الإنسان غريباً عن
نفسه

بدأ سامر يزور مختصًا نفسيًا بعد أن اقترحت عليه ليلي ذلك .

في البداية، رفض الفكرة.

كان يعتقد أن الذهاب إلى مختص يعني أنه فشل في حل مشكلاته بنفسه.

لكن ليلي قالت له:

— أنت لا تذهب لأنك ضعيف، بل لأنك تعبت من حمل كل شيء وحدك.

وافق أخيرًا .

في الجلسة الأولى، جلس أمام امرأة تدعى الدكتورة سلمي، في أواخر الأربعينيات، ذات صوت هادئ ونظرة لا تتعجل الحكم على الآخرين.

سألته:

— ما الذي دفعك إلى المجيء؟

أجاب:

— أريد أن أفهم نفسي.

ابتسمت.

— سؤال جيد.

ماذا تعرف عن نفسك الآن؟



فكر قليلاً.

—أعرف أنني أحب النظام، وأكره الكذب، وأعمل بجد،
وأحاول أن أكون رجلاً مسؤولاً.

—هذه صفاتك كما تراها.

لكن ماذا تفعل عندما تخاف؟
تردد.

—أبتعد عن الناس.

—وماذا تفعل عندما تشعر بأنك مهدد؟

—أحاول السيطرة على الموقف.

—وإذا لم تستطع السيطرة عليه؟

صمت .

ثم قال:

—أغضب.

—وماذا يوجد تحت الغضب؟

نظر إليها باستغراب.

—ماذا تقصدين؟

—الغضب أحياناً يكون الشعور الذي نسمح لأنفسنا

بإظهاره، بينما نخفي وراءه مشاعر أخرى.

ماذا يوجد تحت غضبك؟

لم يجب .

أعادت السؤال بهدوء:

—هل يوجد خوف؟

حزن؟

شعور بالعجز؟

أطرق رأسه.

—ربما.

—وما الذي تخشاه أكثر من أي شيء؟

ظل صامتًا طويلًا .

ثم قال:

—أن يكتشف الناس أنني لست قويًا كما يظنون .سألته:

—ومن الذي أقنعك بأنك يجب أن تكون قويًا طوال

الوقت؟

ظهرت صورة والده في ذهنه .

رجل لا يبكي أمام أسرته، ولا يعترف بخطئه بسهولة، ولا

يسمح لأحد بأن يرى ضعفه.

قال سامر:

—أبي.

—وهل تعتقد أنك أصبحت مثله؟

ارتجفت شفتاه.

—أخشى ذلك.

قالت الدكتورة سلمى:

—أنت لست نسخة من أبيك، لكنك قد تكرر بعض ما تعلمته منه دون أن تنتبه.

الفرق أنك تستطيع الآن أن تلاحظ ذلك وتختار سلوكًا آخر.

تحدثنا طويلاً عن طفولته، وعن شعوره بالذنب في الليلة التي اختفى فيها قرب المخزن.

كان يتذكر أنه خرج من المنزل بعد أن سمع شجارًا بين والده ورجل غريب.

تبعه بدافع الفضول، ثم وجد نفسه قرب المخزن.

لم يستطع تذكر بقية التفاصيل.

قالت الدكتورة:

—لا تحاول إجبار ذاكرتك على إعطائك إجابات لا تملكها.

الذاكرة ليست تسجيلًا كاملاً لكل ما حدث.

أحيانًا نخلط بين ما رأيناه، وما سمعناه لاحقًا، وما تخيلناه ونحن نحاول فهم الماضي.

أوماً سامر .

كانت تلك الفكرة مهمة .

فهو منذ أيام يتعامل مع ذكرياته كأنها أدلة قاطعة، رغم أن بعضها كان غامضاً ومتقطعاً.

قالت:

—قراءة الذات لا تعني أن تصدق كل ما تقوله لنفسك، بل أن تتعلم كيف تسأل نفسك دون أن تتهمها .

عاد سامر إلى المنزل وهو يفكر في العبارة.

لأول مرة، شعر أن البحث عن الحقيقة لا يقتصر على جمع الأوراق والشهادات .

كان عليه أن يفحص أيضاً الطريقة التي يفسرها الأشياء، والأحكام التي يصدرها، والصورة التي رسمها لنفسه طوال السنوات الماضية .

كان يعتقد أنه رجل لا يخاف .

لكنه اكتشف أنه رجل خائف تعلم كيف يخفي خوفه .

وكان يعتقد أنه يكره الكذب .

لكنه اكتشف أنه كذب على نفسه كثيراً كي يحافظ على

صورته أمام الآخرين .

وكان يعتقد أنه يحب ليلي، لكنه أدرك أنه كان أحياناً
يمنحها وجوده ويحرمها من حقيقته .
لم تكن تلك الاكتشافات مريحة .
لكنها كانت بداية مختلفة.

الفصل الثالث عشر:

الحب الذي يقف أمام الحقيقة

مرت أسابيع، وبدأ سامر يتغير ببطء .
صار يعود إلى المنزل في مواعيد أكثر انتظامًا، ويجلس مع
ليلى دون أن يفتح هاتفه كل دقيقة، ويحاول أن يتحدث
عما يشعر به بدلًا من إغلاق الأبواب في وجه الأسئلة .
لكن التغيير لم يكن سهلًا .
في إحدى الليالي، أخبرته ليلى بأنها حصلت على عرض
عمل في مدينة أخرى، وأنها تفكر في قبوله .
شعر سامر بالقلق .

—هل تريدان الرحيل؟

—أريد أن أعمل في المكان الذي يناسب طموحي.

—وماذا عن بيتنا؟

—يمكننا أن نجد حلًا.

وقف.

—هل يعني هذا أنك لم تعودى سعيدة معي؟

تنهدت.

—سامر، لماذا تحول كل قرار أتخذه إلى سؤال عن حبّي

لك؟

لم يجب .

تابعت:

—أنا أحبك، لكنني لا أريد أن تكون حياتي كلها مرتبطة
بخوفك من أن أخسر.

جلس ببطء.

—أخشى أن تبتعدي عني.

جلست أمامه.

—أتعرف ما الذي يجعلني أبتعد فعلاً؟

رفع رأسه.

—ماذا؟

—عندما تشعر بالخوف، لا تخبرني أنك خائف. تتصرف
وكأنني عدوك، ثم تنتظر مني أن أثبت لك أنني لن أتركك.

بقي صامتاً.

قالت:

—لا أستطيع أن أقضي حياتي في إثبات شيء يجب أن

نبنيه معاً.

كانت الكلمات مؤلمة، لكنه لم يغضب.

لأول مرة، حاول أن يسمع ما تقوله بدلاً من التفكير في

كيفية الرد عليها.

قال:

—لا أعرف كيف أتوقف عن الخوف.

أمسكت يده.

— لا أطلب منك أن تتوقف عن الخوف.

أطلب منك ألا تجعلني أدفع ثمنه.

تنفس بعمق.

— إذا قبلتِ العمل، فلن أمنعك .

ابتسمت.

— أنا لا أريد إذنك يا سامر.

أريد أن أعرف إن كنت تستطيع أن تكون شريكي، لا

حارسًا على حياتي.

نظر إليها طويلاً .

ثم قال:

— أريد أن أتعلم ذلك.

لم يكن وعدًا مثاليًا، لكنه كان صادقًا .

وفي تلك الليلة، تحدثا حتى الفجر عن أحلامهما، وعن

السنوات التي ضاعت بينهما بسبب الصمت، وعن الأشياء

التي يريد كل منهما تغييرها.

لم يختفِ الخوف .

لكن الحب بدأ يأخذ شكلاً مختلفًا .

لم يعد سامر يظن أن الحب يعني أن يظل الآخر قريباً
مهما حدث.
بدأ يفهم أن الحب الحقيقي يتطلب الثقة، وأن الثقة لا
تنمو تحت التهديد، بل في مساحة يستطيع فيها كل
شخص أن يكون نفسه دون أن يخشى العقاب.

الفصل الرابع عشر:

الحقيقة التي لم يجرؤ أحد على
قولها

في أثناء مراجعة الوثائق القديمة، اكتشف المحامي أن الطاهر كان قد أدلى بشهادة مقتضبة قبل سنوات، ثم سحب أقواله بعد تعرضه لضغوط.

قرر سامر مقابلته مرة أخرى.

التقيا في منزل الطاهر المتواضع، بعيداً عن القرية.

كان الرجل قد أصبح أكثر ضعفاً، لكنه احتفظ بنظرة حادة.

قال سامر:

—أريد أن أعرف ما الذي رأيته في ليلة وفاة أبي. أطرق الطاهر رأسه.

—لقد أخبرتك بما أعرف.

—أخبرتني أن أباك كان حاضراً في قضية يونس، وأنه حاول الاعتراف.

لكنك لم تخبرني لماذا اختفى يونس، ولا ماذا حدث في المخزن.

تمهد الطاهر.

—لأنني لم أكن شاهداً على كل شيء.

—وما الذي شاهدته؟

قال الطاهر:

—في تلك الليلة، جاء يونس إلى المخزن وهو يحمل مستندات تثبت التلاعب في حسابات الشركة. كان يريد مقابلة والدك، الذي وعده بأنه سيساعده على كشف الأمر.

—وماذا حدث؟

—وصل رشيد ومعه رجلان.

نشب شجار بينهم، ثم سمعت صوت ارتطام قوي. عندما دخلت، كان يونس مصابًا على الأرض. توقف سامر عن التنفس.

—هل مات؟

—لا أعرف.

كان فاقداً للوعي، لكنه كان يتنفس عندما رأيته.

—وماذا فعلوا به؟

أغمض الطاهر عينيه.

—نقلوه إلى سيارة، وقالوا إنهم سيأخذونه إلى المستشفى.

لكنني لم أره بعد ذلك.

—وأبي؟

—كان واقفًا في الزاوية، مصدومًا.

لم يكن هو من ضرب يونس، لكنه لم يمنع الرجال من أخذه.

شعر سامر بغضب شديد.

—لماذا لم تتصل بالشرطة؟

أجاب الطاهر بصوت مكسور:

—لأنني كنت جبانًا.

ولأن رشيد هددني، وقال إن عائلتي ستدفع الثمن إذا تكلمت.

—وهل تعرف ماذا حدث ليونس؟

هز رأسه.

—لا.

—هل رأيت أبي بعد ذلك؟

—نعم. بعد أيام، جاءني وهو يبكي.

قال إنه لم يعد يستطيع النوم، وإنه سيعترف بكل شيء.

طلب مني أن أحفظ بعض الأوراق، وألا أسلمها لأحد حتى

أتأكد من أن من يريد الحقيقة لن يستخدمها للانتقام.

أخرج الطاهر ورقة قديمة من درج مكتبه.

كانت تحمل اسم مستشفى وتاريخًا يعود إلى سنوات

طويلة مضت.

— ما هذه؟

قال الطاهر:

— سجل دخول قديم.

حصلت عليه من شخص كان يعمل في المستشفى.
لا أعرف إن كان يخص يونس نفسه، لكنه قد يساعدكم
على معرفة ما حدث.

أخذ سامر الورقة.

كانت هناك أسماء متعددة، وبعضها غير واضح بسبب
تلف الحبر.

لكنه لاحظ اسمًا مكتوبًا في آخر الصفحة.

يونس عبدالسلام.

وبجانبه تاريخ دخول المستشفى، بعد يومين من الحادثة
التي وقعت في المخزن.
رفع رأسه.

— هل يمكن أن يكون قد نجا؟

أجاب الطاهر:

— ربما.

شعر سامر بأن الأرض التي وقف عليها طوال الأيام الماضية
بدأت تتغير من جديد.

إذا كان يونس قد نجا، فقد تكون هناك شهادة حية تنهي
الغموض الذي أحاط بوالده.
لكن السؤال الذي أفلقه أكثر كان آخر:
إذا كان يونس حيًا، فلماذا لم يعد إلى الظهور؟

الفصل الخامس

عشر:

الرجل الذي عاد من النسيان

استغرق العثور على يونس أسابيع طويلة .
كان الاسم شائعاً، والوثائق ناقصة، وبعض المستشفيات
القديمة لم تحتفظ بسجلات كاملة .
لكن بمساعدة المحامي، عثر سامر على عنوان قديم لرجل
يقيم في مدينة صغيرة شرق البلاد .
لم يكن متأكداً أن الرجل هو نفسه الذي يبحث عنه .
سافر إليه في صباح غائم .
كان العنوان منزلاً متواضعاً يقع في شارع هادئ، أمامه
شجرة زيتون كبيرة .
طرق الباب .
فتح له رجل في أواخر الستينيات، نحيل الجسد، يحمل
عصاً ويتكى على إطار الباب .
قال سامر:
— هل أنت السيد يونس عبدالسلام؟
تغير وجه الرجل .
— من يسأل؟
— اسمي سامر عبدالقادر .
ظل الرجل ينظر إليه لثوانٍ طويلة .
ثم فتح الباب .

—ادخل.

جلسا في غرفة صغيرة، تتصدرها خزانة مليئة بالكتب. قال
يونس:

—كنت أعرف أن أحداً سيأتي يوماً ما.

—هل تعرف أبي؟

أوماً.

—أعرفه جيداً.

—هل كنت تعمل معه؟

—نعم. كنت محاسب الشركة.

أخرج سامر صورة والده ووضعتها أمامه.

تأملها يونس بحزن.

—كان رجلاً أفضل مما انتهى إليه، وأسوأ مما كان يريد
أن يكون.

سأله سامر:

—ماذا حدث في تلك الليلة؟

صمت يونس قليلاً.

ثم بدأ يتحدث.

كان قد اكتشف تحويلات مالية غير قانونية، وتلاعباً في
الحسابات، ومحاولات لإخفاء خسائر الشركة.

وعندما قرر مواجهة رشيد، تعرض للاعتداء في المخزن.
قال يونس:

—لم يكن والدك هو من ضربني.

لكنه كان هناك، ورأى ما حدث.

وعندما حاولت أن أطلب منه المساعدة، لم يتحرك.

—هل مات أحد في تلك الليلة؟

—لا.

لقد نجوت، لكنني أصبت إصابات خطيرة.

—لماذا اختفيت؟

—لأنني عندما خرجت من المستشفى، تلقيت تهديدات.

قيل لي إنني إذا عدت إلى القضية، فسوف يتعرض أبنائي
للخطر.

كنت أملك عائلة صغيرة، ولم أكن مستعدًا للمخاطرة بهم.
خفض رأسه.

—تركت البلاد مدة، ثم عدت باسم مختلف لفترة
طويلة.

لم أكن فخورًا بما فعلت، لكنني كنت أظن أن الصمت هو
الطريقة الوحيدة لحماية عائلتي.

سأله سامر:

—وهل كان أبي يعرف أنك نجوت؟

أجاب يونس:

—نعم. زارني مرة واحدة بعد خروجي من المستشفى. كان

يبكي، وطلب مني أن أسامحه لأنه لم يتدخل.

—وماذا قلت له؟

—قلت له إنني لا أستطيع أن أسامحه في ذلك الوقت،

لكنني لن أطلب منه أن يعيش بقية عمره وهو يعاقب

نفسه.

طلبت منه أن يقول الحقيقة أمام القضاء .

توقف يونس .

ثم أضاف:

—قال إنه سيفعل.

—لكنه مات قبل ذلك .

أوماً يونس بحزن.

—سمعت بالحادث.

ولم أعرف يومًا إن كان مجرد حادث أم أن هناك من أراد

منعه من الكلام.

لا أملك دليلاً على أي من الاحتمالين.

شعر سامر بأن جزءًا من الغموض بدأ ينكشف.

لم يكن يونس ميتًا كما تخيل .
ولم يكن والده قاتلاً كما خاف .
لكن الحقيقة لم تكن بريئة.
لقد صمت عبدالقادر عندما كان يجب أن يتدخل، ثم
حاول إصلاح خطئه، ولم يتمكن من الوصول إلى النهاية .
قال سامر:
—هل تقبل أن تدلي بشهادتك؟
نظر يونس إليه طويلاً.
—سأفعل، إذا كان ذلك سيساعد على كشف الحقيقة،
وإذا كان هناك من سيستمع هذه المرة .
أوماً سامر .
وقبل أن يغادر، سأله يونس:
—هل كنت تحب أباك؟
تفاجأ بالسؤال.
—نعم.
—وهل تكرهه الآن؟
فكر قليلاً.
—لا أعرف .
ابتسم يونس بحزن.

—هذا جواب صادق.

لا تجبر نفسك على اختيار شعور واحد.

يمكنك أن تحب أباك وأن تغضب منه في الوقت نفسه.

يمكنك أن تفهم خوفه دون أن تبرر صمته.

ثم قال:

—تذكر يا بني، الإنسان ليس خطأ واحدًا، كما أنه ليس

فضيلة واحدة.

نحن مجموعة قرارات، بعضها يشبهنا، وبعضها يخجلنا،

وبعضها نحاول إصلاحه حتى آخر يوم في حياتنا.

خرج سامر من المنزل، وشعر أن الرحلة التي بدأها للعثور

على حقيقة أبيه أصبحت رحلة للعثور على مساحة

يستطيع فيها أن يرى الآخرين دون أن يحولهم إلى ملائكة

أو شياطين.

الفصل السادس

عشر:

الاعتراف الأخير

بعد ظهور شهادة يونس، بدأت الجهات المختصة مراجعة القضية القديمة من جديد، إلى جانب التحقيق في تحويلات كمال المالية.

لم يكن من الممكن إثبات أن وفاة عبدالقادر كانت جريمة، لكن الوثائق الجديدة أثارت أسئلة جدية حول الظروف التي سبقتها.

وفي خضم تلك الأحداث، وصل إلى سامر اتصال من نادية. قالت بصوت مضطرب:

—أحتاج إلى رؤيتك .

التقيا في المكان نفسه الذي جلسا فيه أول مرة .

كانت تحمل حقيبة صغيرة، وبدأت عليها علامات الإرهاق .

قال سامر:

—ما الأمر؟

أخرجت من حقيبتها رسالة قديمة.

—هناك شيء لم أخبرك به .

شعر بالقلق.

—ماذا؟

قالت:

—أبي كان يعمل مع رشيد، لكنه لم يكن مجرد موظف.

كان يعرف تفاصيل القضية، وساعد في إخفاء بعض المستندات .

أخذ سامر الرسالة.

— وهل شارك في الاعتداء على يونس؟

— لا أعرف.

لكنه ساعد رشيد على إبعاد الشهود عن القضية .صمت سامر .

ثم قال:

— لماذا تخبريني الآن؟

أجابت:

— لأنني كنت أخاف أن تكرهني إذا عرفت أن أبي كان جزءاً من الأمر.

كنت أريد مساعدتك، لكنني كنت أحاول في الوقت نفسه حماية صورته في عينيك.

ابتسم سامر بمرارة.

— يبدو أننا جميعاً كنا نحاول حماية الصور بدلاً من مواجهة الحقيقة.

هزت رأسها.

— نعم. لكن هناك أمراً آخر .

رفعت عينها إليه.

— في طفولتنا، عندما كنت في العاشرة، لم تختفِ قرب
المخزن بالصدفة.

تجمد سامر.

— ماذا تقصدين؟

قالت نادية:

— كنت مع أبي في ذلك اليوم.

رأيتك تخرج من البيت وتتبعهما دون أن ينتبه إليك أحد.

ثم عدت بعد ساعات وأنت تبكي.

بعد ذلك، جاء أبي إلى منزلنا وقال إن عليك أن تنسى ما
رأيت.

— ماذا رأيت؟

— لا أعرف كل شيء.

كنت صغيرة.

لكنني أتذكر أنك رأيت أباك وهو يتشاجر مع رشيد، وأنت

سمعت رشيد يهدده.

أغض سامر عينيه.

بدأت بعض الصور الغامضة تتحرك في ذهنه:

صوت مرتفع، باب حديدي، والده ينحني أمامه، ويطلب منه أن ينسى ما حدث .

لكن الذاكرة لم تكن واضحة بما يكفي ليبنى عليها حكمًا.
قالت نادية:

—كنت أظن أنني إذا أخبرتك بكل شيء، فسأساعدك على استعادة ذاكرتك.

لكنني أدركت أنني لا أملك الحق في أن أضع في رأسك ذكريات قد لا تكون كاملة.
نظر إليها بدهشة .

كانت كلماتها تشبه ما قالتها الدكتورة سلى .
قال:

—ربما لن أتذكر كل شيء أبدًا.

—ربما.

—وربما لن أعرف حقيقة موت أبي .

أومأت.

—ربما.

ابتسم سامر ابتسامة حزينة.

—كنت أبحث عن إجابات نهائية لكل شيء.

لكنني بدأت أفهم أن بعض الأسئلة قد تبقى مفتوحة.
قالت نادية:
—المهم ألا تتحول إلى سجين لها.
ثم أضافت:
—سامر، أنا آسفة لأنني تأخرت في الكلام.
نظر إليها.
—وأنا آسف لأنني كنت أعتقد أن الصمت يعني الخيانة
دائمًا.
أحيانًا يكون الصمت نتيجة خوف لا نعرف كيف نتعامل
معه.
لكنه يظل مؤذيًا، حتى عندما نفهم أسبابه.
افترقا بهدوء.
وللمرة الأولى منذ عودتها، لم يشعر سامر أنه مضطر إلى
انتزاع الحقيقة منها.
لقد قالت ما تعرفه، واعترفت بما أخفته، وتركت له
مساحة ليقرر ماذا يفعل بهذه المعرفة.
وكان ذلك كافيًا لبداية جديدة.

الفصل السابع عشر:

سقوط الأقنعة

في الشهر التالي، واجه سامر أزمة أخرى. وصلته وثائق من المحامي تثبت أن بعض التحويلات المالية التي نفذها كمال تمت بموافقة سابقة من سامر نفسه، لكنه نسي تفاصيلها بسبب انشغاله بعمله. لم يكن سامر قد سرق المال، لكن توقيعه الإلكتروني ظهر في إجراءات كان ينبغي أن يراجعها بعناية أكبر. كان من السهل أن يقول إن كمال خدعه، وأنه استغل ثقته به. لكن الوثائق كانت واضحة في نقطة واحدة: سامر لم يقم بواجبه كما يجب. جلس أمام المحامي وقال: —أريد أن أعرف كيف أصبح هذا الخطأ. أجابه المحامي: —عليك أن تتعاون في التحقيق، وأن تقدم كل ما لديك من مستندات، وألا تخفي أي شيء. أوماً سامر. كان يعرف أن الاعتراف بإهماله قد يؤثر في سمعته المهنية، وربما يعرضه لخسائر مالية. لكنه تذكر كلمات أبيه في التسجيل:

«تعلم أن تقول الحقيقة، حتى عندما تكون الحقيقة ضدك.»

قرر أن يعلن مسؤوليته عن الإهمال الإداري، وأن يتعاون في استعادة الأموال، وأن يترك للقانون تحديد مسؤولية كل طرف .

لم يكن القرار سهلاً.

بعض زملائه نصحوه بالصمت، وقالوا إن أحداً لن يلومه على تصرفات شريكه .

لكن سامر لم يعد يريد أن يعيش داخل الحيل نفسها التي قضى أياماً يلوم الآخرين عليها .

كان يستطيع أن يحمي صورته مؤقتاً، لكنه لن يستطيع أن يحترم نفسه إذا اختار الكذب .

في تلك الفترة، بدأت المؤسسة التي يعمل فيها مراجعة صلاحياته الإدارية.

خسر بعض الامتيازات، وتعرض لانتقادات قاسية من أشخاص كانوا يمدحونه بالأمس .

شعر بالمرارة .

لكنه لم يهرب .

كان يعود إلى المنزل، ويجلس مع ليلي، ويخبرها بما حدث
دون أن يخفي التفاصيل .

وفي إحدى الليالي، قالت له:

—أنت تتغير .

ابتسم.

—هل هذا جيد أم سيئ؟

—لا أعرف بعد.

لكنني أراك تحاول أن تكون صادقًا حتى عندما يكون
الصدق مكلفًا .

قال:

—كنت أظن أنني سأفقد احترام الناس إذا اعترفت

بأخطائي.

—وهل فقدته؟

فكر قليلاً.

—بعضهم لم يعد يحترمني كما كان.

وبعضهم احترمني أكثر.

لكن الأهم أنني لم أعد أحتاج إلى إقناع الجميع بأنني رجل

لا يخطئ .

أمسكت يده.

—هذا أول شيء قلته اليوم وجعلني أبتسم .
ضحك.

وكانت ضحكته مختلفة .

لم تكن ضحكة رجل يحاول إخفاء خوفه، بل ضحكة
شخص بدأ يقبل أنه ليس كاملاً، وأن نقصه لا يجعله أقل
استحقاقاً للحب .

لكن الحياة لم تكن قد انتهت من اختباره .

فبعد أيام، تلقى رسالة من جهة رسمية تفيد بأن التحقيق
في وفاة والده سِيرَاجَ بناءً على الوثائق والشهادات
الجديدة .

ولم يكن يعلم إن كان سيصل يوماً إلى حقيقة نهائية . لكنه
قرر أن يواصل الطريق دون أن يسمح للشك بأن يحوله
إلى رجل آخر .

الفصل الثامن عشر:

قراءة الذات

مرّت ستة أشهر .

تغيرت حياة سامر بطرق لم يتوقعها.

لم يعد مديرًا كما كان، لكنه لم يفقد عمله بالكامل.
انتقل إلى وظيفة أقل نفوذًا، وبدأ يسدد ما ترتب عليه من
خسائر، بينما استمر التحقيق في قضية كمال .

أما قضية والده، فقد كشفت المراجعة عن مخالفات
مالية وتستر على الاعتداء الذي تعرض له يونس، لكنها لم
تقدم دليلًا حاسمًا على أن وفاة عبدالقادر كانت مدبرة .
بقي السؤال مفتوحًا .

هل كان الحادث مجرد حادث؟

أم أن أحدًا تلاعب بالسيارة؟

لم يعرف سامر .

وكان عليه أن يتعلم كيف يعيش دون إجابة نهائية .

في المنزل، قبلت ليلى عرض العمل بعد نقاش طويل بينهما.
لم تنتقل إلى مدينة بعيدة، لكن عملها تطلب منها السفر
أحيانًا .

كان الأمر صعبًا في البداية، لأن سامر اعتاد أن يربط
الأمان بوجود من يحبهم قربه .

لكنه بدأ يفهم أن القرب الحقيقي لا يقاس بالمسافة وحدها.

كانا يتحدثان كل مساء، ويتبادلان تفاصيل يومهما، ويختلفان أحياناً دون أن يتحول الخلاف إلى تهديد بالفراق.

أما مريم، فقد بدأت تخرج من المنزل أكثر، وتزور بعض صديقاتها القديمات.

لم تعد تتحدث عن زوجها كما لو كان رجلاً كاملاً، ولا كما لو كان رجلاً سيئاً بالكامل.

صارت تحكي عنه كما كان:

رجلاً أحب عائلته، وخاف، وأخطأ، وحاول أن يصلح بعض أخطائه، لكنه لم يستطع إصلاح كل شيء.

وفي أحد الأيام، قرر سامر أن يزور قبر والده.

حمل باقة صغيرة من الزهور، وجلس أمام القبر طويلاً.

لم يتحدث في البداية.

ثم قال بصوت خافت:

—يا أبي، قضيت سنوات أبحث عن إجابة لسؤال واحد:

من كنت أنت حقاً؟

رفع عينيه نحو السماء.

—اكتشفت أنك لم تكن الرجل الذي صنعته في خيالي،
لا في صورة البطل الذي لا يخطئ، ولا في صورة المجرم
الذي يستحق الكراهية.

مسح التراب عن طرف القبر.
—كنت إنسانًا.

وهذا لا يبرئك من أخطائك، لكنه يجعلني أفهم أنني قد
أرتكب أخطاء تشبه أخطائك إذا لم أتعلم منها. سكت
قليلاً.

—لا أعرف إن كنت سأتمكن من مسامحتك يوماً عن
كل ما حدث.

لكنني لن أواصل معاقبة نفسي بسبب ما فعلته أنت.
نهض، ووضع الزهور أمام القبر.
وفي طريق عودته، مرّ أمام مرآة واجهة متجر مغلق. توقف.
نظر إلى انعكاسه.

رأى رجلاً لا تزال في عينيه آثار التعب، وعلى وجهه خطوط
لم تكن موجودة قبل أشهر.
لكنه رأى أيضاً شيئاً آخر.

رأى رجلاً لم يعد يخجل من النظر طويلاً إلى نفسه. اقترب
من الزجاج، وتأمل ملامحه.

لم يسأل هذه المرة إن كان يبدو قويًا، أو ناجحًا، أو محبوبًا.

سأل نفسه سؤالًا مختلفًا :

هل أنا مستعد لأن أرى نفسي كما أنا، لا كما أريد أن أكون؟

ابتسم ابتسامة هادئة .

ثم واصل طريقه .

لقد فهم أخيرًا أن قراءة الذات ليست اكتشافًا يصل إليه الإنسان مرة واحدة، ثم يغلق الكتاب .

إنها رحلة تتجدد كل يوم، كلما أخطأ، أو خاف، أو أحب، أو فقد، أو اضطر إلى اتخاذ قرار لا يستطيع أحد اتخاذه نيابة عنه .

إنها القدرة على الاعتراف بالضعف دون الاستسلام له، وعلى مواجهة الخطأ دون تحويله إلى هوية، وعلى فهم الماضي دون السماح له بسرقة المستقبل.

لكن سامر لم يكن يعرف أن صفحة أخيرة تنتظره، صفحة ستعيد فتح السؤال الذي ظن أنه أغلقه إلى الأبد.

الفصل التاسع عشر:

الرسالة الأخيرة

في الذكرى الأولى لوفاة رشيد، وصلت إلى سامر رسالة ورقية عبر البريد. لم يكن على الظرف سوى اسمه وعنوان منزله .

عرف الخط .

كان خط نادية.

فتح الرسالة، فوجد بداخلها ورقة وصورة قديمة لم يرها من قبل .

بدأ القراءة:

«سامر، ترددت طويلاً قبل أن أرسل إليك هذه الرسالة. كنت أظن أنني قلت لك كل ما أعرفه، لكنني عثرت مؤخراً على شيء قد يغير فهمك لبعض التفاصيل. الصورة المرفقة وُجدت بين أوراق أبي بعد وفاته. لم أعرف لماذا احتفظ بها، ولا من التقطها. أرسلها إليك لأنك تستحق أن تراها بنفسك. لا أطلب منك أن تستنتج منها شيئاً، ولا أريد أن أوجهك نحو إجابة معينة. أريد فقط أن تكون حراً في رؤية ما أمامك.»

أخرج سامر الصورة .

كانت صورة لوالده يقف أمام سيارة قديمة، وإلى جانبه رجل لم يعرفه.

لكن ما لفت انتباهه لم يكن الرجل .

بل السيارة .

كانت هي نفسها السيارة التي توفي والده في حادثها .وعلى زجاجها الأمامي، ظهرت ورقة صغيرة تحمل تاريخًا يعود إلى اليوم السابق للحادث .قلب الصورة .وجد عبارة مكتوبة بخط يد مجهول :

«تم الإصلاح بناءً على طلب السيد عبدالقادر .»

تجمد في مكانه .

هل كان والده يعرف بوجود عطل في السيارة؟

وهل أصلحها بالفعل؟

أم أن أحدًا كتب العبارة ليضلل من يعثر على الصورة؟

أخذ الصورة إلى المحامي، ثم إلى المختص الذي كان يراجع الوثائق القديمة .بعد أيام، جاءه الرد .

الصورة أصلية على الأرجح، لكن العبارة الموجودة خلفها لا تكفي لإثبات أي شيء.

لم يكن من الممكن تحديد من كتبها، ولا ما إذا كانت السيارة قد خضعت فعليًا للصيانة في ذلك اليوم .عاد

سامر إلى منزله وهو يشعر بالإحباط .

كان جزء منه يريد أن يعرف الحقيقة كاملة، وأن يجد شخصًا يلومه، أو دليلاً ينهي الشك إلى الأبد.

لكن جزءًا آخر كان يخشى أن يكتشف أن كل ما بناه من استنتاجات لم يكن سوى محاولة لتفسير فراغ لا يستطيع تحمله.

جلس في غرفة المكتب.

وضع الصورة أمامه، ثم أخرج دفتره الشخصي. كتب:

«هناك فرق بين أن أبحث عن الحقيقة، وأن أبحث عن إجابة تريحني. قد لا أعرف أبدًا ما الذي حدث في الليلة الأخيرة من حياة أبي. لكنني أعرف الآن أنني لا أريد أن أعيش بقية حياتي رهينة لهذا السؤال. لن أسمح للماضي بأن يقرر من أكون، ولن أستخدم الغموض عذرًا لأتهم أحدًا دون دليل. سأواصل البحث ما دمت أستطيع، لكنني سأواصل الحياة أيضًا.»

أغلق الدفتر.

وفي تلك اللحظة، رن هاتفه.

كانت أمه.

قالت بصوت متوتر:

—سامر، هناك شيء يجب أن أخبرك به .

اعتدل في جلسته.

—ماذا حدث؟

ترددت طويلاً .

ثم قالت:

—وجدت أوراقاً قديمة داخل خزانة أبيك.

كنت أخفيها عنك منذ سنوات، وكنت أظن أنني سأحرقها
يوماً، لكنني لم أستطع .

شعر سامر أن قلبه توقف للحظة.

—أي أوراق؟

جاءه صوتها مرتجفاً:

—أوراق تتعلق باليوم الذي مات فيه أبوك.

أغمض عينيه .

كان يظن أنه وصل إلى نهاية الرحلة .

لكن الماضي كان يفتح باباً آخر .

الفصل العشرون:

حين قرأ نفسه أخيراً

وصل سامر إلى منزل أمه بعد أقل من ساعة .
كانت مريم تنتظره في غرفة النوم، أمام خزانة خشبية
قديمة لم يفتحها أحد منذ سنوات .
أخرجت صندوقًا صغيرًا ووضعت أمامه .
—كنت أظن أنني سأموت قبل أن أريك هذه الأوراق.
فتح سامر الصندوق .
وجد بداخله إيصالات قديمة، ورسالة غير مكتملة،
وصورة لأبيه وهو يقف أمام ورشة لإصلاح السيارات .بدأ
يفحص الأوراق واحدة تلو الأخرى .
كانت هناك فاتورة صيانة تحمل تاريخًا يسبق الحادث
ببومين، وتذكر أن نظام الفرامل يحتاج إلى قطعة بديلة
لم تكن متوفرة في ذلك الوقت .
وتحتها ورقة أخرى تشير إلى أن السيارة سُلِّمت إلى صاحبها
بعد إجراء إصلاح مؤقت .
قرأ سامر المستندات بعناية .
لم تثبت أن أحدًا تعمد إحداث العطل، لكنها أكدت أن
السيارة كانت تعاني مشكلة فنية قبل الحادث .
ثم عثر على الرسالة غير المكتملة .
كان خط والده واضحًا .

«مريم،

إذا حدث لي شيء، فلا أريدك أن تتخذي قراراتك بدافع الخوف. لقد ارتكبت أخطاء كثيرة، لكنني لا أريد أن أترك سامر يكررها. هناك أمر يتعلق بالسيارة يجب أن تعرفيه. عندما ذهبت إلى الورشة، أخبرني العامل أن الإصلاح يحتاج إلى وقت وقطعة غيار. لكنني كنت مستعجلاً، وطلبت منه أن يعيد السيارة إلى الطريق بعد إصلاح مؤقت. لم يكن ينبغي أن أفعل ذلك. إذا حدث مكروه، فقد يكون جزء من المسؤولية مسؤوليتي أنا. لا أعرف لماذا أشعر أن الأيام القادمة ستكون صعبة، لكنني أريدك أن تعرفي أنني أحاول إصلاح ما أفسدته. عبد القادر.»

توقف سامر عن القراءة.

ظل ينظر إلى الورقة طويلاً.

كان والده قد علم بوجود خلل في السيارة، واختار العودة بها بعد إصلاح مؤقت.

لكن ذلك لم يثبت أن الحادث كان نتيجة هذا الخلل وحده، ولم ينفِ احتمال وجود أسباب أخرى.

لم تكن الرسالة اعترافاً بجريمة.

كانت اعترافًا بقرار متهور قد تكون له عواقب خطيرة .شعر
سامر بألم عميق .

لقد أمضى أشهرًا يتخيل أن هناك عدوًا خفيًا قتل أباه،
وأن كشفه سيمنحه الراحة .

لكن الحقيقة التي ظهرت أمامه كانت أكثر تعقيدًا .
ربما كان الحادث نتيجة عطل لم يُصلح كما ينبغي .وربما
كانت هناك تفاصيل أخرى لم يصل إليها .
لم يكن يملك دليلًا يسمح له بإغلاق القضية، ولم يكن
مستعدًا لاختراع إجابة لمجرد أن الفراغ يؤلمه .جلس بجانب
أمه .

قالت مريم:

—هل تكره أباك الآن؟

نظر إليها.

—لا أعرف إن كان بإمكانني أن أصف ما أشعر به
بالكراهية.

—وماذا تشعر؟

فكر طويلًا.

—أشعر بالحزن.

لأنني كنت أريد أن يكون أبي رجلًا يعرف الصواب دائمًا.

ثم شعرت بالغضب عندما اكتشفت أنه أخطأ.
والآن أفهم أنه كان إنسانًا اتخذ قرارات سيئة، وحاول أن
يصلح بعضها، لكنه لم يستطع التحكم في كل النتائج.
انهمرت دموع أمه.

—كنت أخشى أن تعرف هذا عنه.

أجابها:

—وأنا كنت أخشى أن أعرفه عن نفسي.
نظرت إليه باستغراب.

فقال:

—كنت أظن أنني مختلف عنه تمامًا.
لكنني اكتشفت أنني أحمل بعض مخاوفه، وبعض عاداته،
وبعض الطرق التي تعلم بها الهرب من الحقيقة.
أمسك يدها.

—الفرق أنني أستطيع الآن أن أختار.

في المساء، عاد إلى منزله.

كانت ليلي تنتظره، فحكى لها ما اكتشفه.

استمعت إليه حتى انتهى.

ثم سألته:

—هل ستواصل البحث؟

قال:

—نعم، إذا ظهرت أدلة جديدة.

سأقدم هذه الأوراق للمختصين، وسأترك لهم فحصها.
لكنني لن أوقف حياتي انتظارًا لإجابة قد لا تأتي. ابتسمت.
—يبدو أنك تعلمت شيئًا مهمًا.

جلس بجانبها.

—تعلمت أن معرفة الحقيقة لا تعني دائمًا الحصول على
الراحة.

أحيانًا تجعلنا الحقيقة أكثر حزنًا، لكنها تمنحنا فرصة
لنتوقف عن الكذب على أنفسنا.

أخذ كتابًا كان موضوعًا على الطاولة.

كان دفتره الشخصي الذي بدأ الكتابة فيه قبل أشهر. فتح
الصفحة الأولى.

قرأ ما كتبه في الأيام الأولى:

«أريد أن أعرف من قتل أبي.»

قلب الصفحة.

وجد سؤالًا آخر:

«لماذا أخاف من أن يراني الناس ضعيفًا؟»

ثم سؤالًا ثالثًا:

«هل أحب الآخرين كما هم، أم كما أريدهم أن يكونوا؟»
وفي الصفحات الأخيرة، وجد العبارة التي كتبها قبل أيام:
«لن أسمح للماضي بأن يقرر من أكون.»
أغلق الدفتر، ووضعه على الطاولة.
ثم اتجه إلى المرأة الكبيرة في غرفة الجلوس .
وقف أمامها طويلاً .

لم يكن يبحث عن وجه رجل قوي، ولا عن ملامح رجل
ناجح، ولا عن دليل يثبت أنه أصبح أفضل من أبيه .كان
ينظر إلى إنسان يحمل أخطاءه ومخاوفه وذكرياته، ويحاول
أن يفهمها دون أن يجعلها سجنًا .قال لنفسه بصوت
خافت:

—أنا سامر. لست أبي، ولست أخطاء أصدقائي، ولست
ضحية كل ما حدث لي.
أنا ما أختاره اليوم، وما أتعلم منه، وما أتحمل مسؤوليته.
ابتعد عن المرأة .
وفي تلك اللحظة، رن جرس الباب .
فتحت ليلي، ثم عادت وهي تحمل مظروفًا صغيرًا.

—هذا لك.

أخذه سامر.

لم يكن عليه اسم المرسل.

فتح المظروف .

وجد ورقة واحدة، مكتوبة بخط لم يعرفه.

«إلى سامر، لقد وصلت إلى الحقيقة التي كان الجميع

يخشونها. لكن هناك أمراً لم يخبرك به أحد. في الليلة التي

مات فيها والدك، لم يكن وحده في السيارة.»

شعر سامر ببرودة تسري في أطرافه .

قرأ العبارة مرة أخرى .

ثم قلب الورقة .

كان في أسفلها اسم واحد :

الطاهر .

رفع رأسه نحو ليلي .

كانت تنظر إليه بقلق .

عاد إلى المرأة، لكنه لم ينظر إلى انعكاسه هذه المرة. نظر إلى

الظلام خلفه، كأنه ينتظر ظهور شخص من الماضي .

لم يكن يعرف إن كانت الرسالة حقيقية، ولا من كتبها،

ولا لماذا اختار صاحبها أن يرسلها الآن .

لكنه عرف شيئاً واحداً.

أن رحلة قراءة الذات لم تنتهِ .

وأن بعض الأسرار لا تعود لتكشف الماضي فقط، بل
لتختبر ما تعلمناه منه .

أخذ سامر هاتفه واتصل بالطاهر .

رن الهاتف طويلاً .

ثم جاءه صوت رجل آخر .

—ألو؟

قال سامر بسرعة:

—أريد التحدث إلى الطاهر .

صمت الرجل لحظة .

ثم أجاب:

—يؤسفني إخبارك بذلك، لكن السيد الطاهر توفي قبل

ثلاثة أيام .

تجمد سامر .

—ماذا قلت؟

—توفي قبل ثلاثة أيام .

انقطع الاتصال .

وقف سامر في مكانه، والمظروف بين أصابعه .

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً .

وفي الخارج، بدأت الريح تضرب النوافذ بقوة.

التفت إلى ليلي.

— يجب أن أذهب إلى القرية .

سألته:

— لماذا؟

رفع الورقة أمامها .

قرأت الرسالة، ثم نظرت إليه بقلق .

قال سامر:

— لأنني ظننت أنني تعلمت كيف أعيش مع الأسئلة التي

لا أجد لها إجابة.

لكن يبدو أن هناك سؤالاً جديداً لم أطرحه بعد.

أخذ مفاتيحه، ثم توقف أمام الباب .

نظر إلى ليلي وقال:

— هذه المرة، لن أذهب لأبحث عن شخص أتهمه.

سأذهب لأعرف ما الذي حدث فعلاً، مهما كانت النتيجة.

فتح الباب وخرج .

كانت الريح تعصف في الشارع، والمطر يبدأ في التساقط .

سار نحو سيارته، بينما كانت الكلمات الأخيرة في الرسالة

تردد في ذهنه :

في الليلة التي مات فيها والدك، لم يكن وحده في السيارة.»
وللمرة الأولى منذ شهور، شعر بالخوف. لكنه لم يهرب منه.
جلس خلف المقود، وشغل المحرك، ثم انطلق في اتجاه
الطريق الذي يقود إلى القرية القديمة. لم يكن يعلم أن
الحقيقة الجديدة قد تكون أبسط مما يتخيل، أو أشد
قسوة من كل ما عرفه. ولم يكن يعلم أن الشخص الذي
سيراه عند وصوله إلى القرية سيجبره على إعادة قراءة
حياته من الصفحة الأولى.
انتهت الرواية... أم بدأت الحقيقة للتو؟

الخاتمة:

رسالة إلى القارئ

ليست كل النهايات إجابات، وليست كل الأسرار قابلة للكشف، وليس كل ألم يمكن محوه باعتذار. لكن الإنسان يستطيع أن يتعلم كيف يعيش دون أن يحول جراحه إلى سلاح، وكيف يحب دون أن يجعل الخوف سيدًا على قلبه، وكيف يواجه أخطاءه دون أن يفقد الأمل في نفسه.

لقد بدأ سامر رحلته باحثًا عن قاتل محتمل، وانتهى به الأمر إلى اكتشاف أن أكثر المعارك تعقيدًا هي المعركة التي يخوضها الإنسان مع صورته عن نفسه. لقد تعلم أن والده لم يكن كاملاً، وأن أصدقاءه ليسوا دائماً كما يبدون، وأن الحب لا ينجح بالصمت وحده، وأن الحقيقة قد تظل ناقصة مهما بحثنا عنها. لكنه تعلم أيضاً أن الإنسان لا يُختصر في ماضيه، وأن الاعتراف بالخطأ لا يعني نهاية الكرامة، وأن الشجاعة ليست غياب الخوف، بل القدرة على اتخاذ القرار الصحيح رغم وجوده.

قراءة الذات ليست أن تبحث عن شخص تلومه على كل ما حدث لك، بل أن تمتلك الشجاعة لتسأل نفسك: ما الذي حدث لي، وكيف أثر فيّ، وماذا سأفعل الآن؟

فربما لا نستطيع تغيير ما حدث بالأمس، لكننا نستطيع أن نختار كيف نحمل أثره إلى الغد. وربما لا نستطيع أن نقرأ كل ما تخفيه نفوس الآخرين، لكننا نستطيع أن نتعلم قراءة أنفسنا بصدق.

لأن الإنسان الذي لا يعرف نفسه قد يقضي عمره كله يحارب أعداء صنعهم خوفه، ويهرب من حقائق صنعها اختياراته، ويبحث عن السعادة في عيون الآخرين، بينما المفتاح الحقيقي ينتظره في أعماقه.

وهناك، في ذلك المكان الذي لا يراه أحد، تبدأ الحكاية الحقيقية.

قراءة الذات... رحلة لا تنتهي ما دام في القلب سؤال، وفي العقل قدرة على الفهم، وفي الإنسان أمل في أن يصبح أفضل مما كان.

كلمة أخيرة من المؤلف

رواية «قراءة الذات» ليست مجرد حكاية عن الأسرار والخيانة والغموض، بل هي دعوة إلى اكتشاف أعماق النفس البشرية، وفهم أثر الطفولة في قراراتنا، وكيف يمكن للخوف أن يغيّر طريقة تعاملنا مع الحب والثقة والحقيقة.

وقد تركتُ النهاية مفتوحة عمدًا، حتى يبقى القارئ متشوقًا لمعرفة سرّ الراكب الآخر في سيارة عبدالقادر، وما الذي كان الطاهر يخفيه حتى وفاته.

ويمكن أن تكون هذه النهاية بداية جزء ثانٍ بعنوان: «ما وراء المرأة»، حيث تنكشف أسرار جديدة، وتظهر حقيقة لم يتوقعها سامر، وتصبح قراءة الذات أصعب من أي وقت مضى.

حمارة عبداللّاح

فهرست

العنوان	رقم الصفحة
إهداء	04
كلمة المؤلف	05
مقدمة الرواية	09
التعريف الكامل بأبطال رواية	11
الفصل الأول: الرجل الذي يعرف كل شيء	29
الفصل الثاني: البيت الذي يحتفظ بالأسرار	36
الفصل الثالث: نادية تعود من الماضي	43
الفصل الرابع: المرأة الأولى	50
الفصل الخامس: خيانة في وضوح النهار	55
الفصل السادس: الرسالة التي غيّرت كل شيء	62
الفصل السابع: المخزن القديم	67
الفصل الثامن: صوت من الموت	75
الفصل التاسع: ليلي تعرف ما لا يعرفه سامر	80
الفصل العاشر: الوجه الآخر لكمال	86
الفصل الحادي عشر: أمّ تخفي دموعها	92

98	الفصل الثاني عشر: حين يصبح الإنسان غريبًا عن نفسه
105	الفصل الثالث عشر: الحب الذي يقف أمام الحقيقة
110	الفصل الرابع عشر: الحقيقة التي لم يجرؤ أحد على قولها
116	الفصل الخامس عشر: الرجل الذي عاد من النسيان
123	الفصل السادس عشر: الاعتراف الأخير
129	الفصل السابع عشر: سقوط الأقنعة
134	الفصل الثامن عشر: قراءة الذات
139	الفصل التاسع عشر: الرسالة الأخيرة
144	الفصل العشرون: حين قرأ نفسه أخيرًا
155	الخاتمة